التحديات الحضارية التى تواجه الأمة الإسلامية

فى القرن الحادى والعشرين

بقلم الدكتور / رأفت غنيمى الشيخ (*)

تقديم :

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله «صدق الله العظيم» .

بناء على توجيه معالى الأستاذ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى وزير الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ورئيس رابطة الجامعات الإسلامية ، وكل من معالى الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر ونائب رئيس رابطة الجامعات الإسلامية والأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام على الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية . فقد قبلت تكليف الأمانة العامة للرابطة للعمل مقررا للجنة التحديات الحضارية .

وخلال الفترة الممتدة من اجتماع المجلس التنفيذى السابق بمقر الرابطة الجديد بجامعة الأزهر نشطت اللجنة فى عقد اجتماعاتها سواء بمقر اللجنة بمعهد البحوث والدراسات الأسيوية جامعة الزقازيق أو بمقر الأمانة العامة للرابطة بجامعة الأزهر كما تلقت أوراق عمل من بعض الأخوة من داخل مصر وخارجها مثل ورقة العمل التى قدمها الأستاذ الدكتور محمد أبو الفتوح شريف عميد كلية التربية بدمياط جامعة المنصورة ، والأستاذ الدكتور محمد فاروق نبهان رئيس دار الحديث الحسينية بالرباط المملكة المغربية وغيرهما .

وقدمت اللجنة من خلال اجتماعات أعضائها وبحوثهم وأوراق العمل التى قدمت تقارير متتالية لأمانة الرابطة تضمنت أفكارا تخدم خطة الأمانة العامة فى استجلاء التحديات الحضارية التى تواجه العالم الإسلامى فى القرن المقبل - الحادى والعشرين - الوضع الحالى وواجب الجامعات الإسلامية نحو هذه التحديات . وفى هذا التقرير الحضارى الوضع الحالى للتحديات الحضارية لعلنا نكون قد وفقنا الله لعرض جهود اللجنة . والله ولى التوفيق .

(*) عميد معهد الدراسات الأسيوية - جامعة الزقازيق .

obeikandi.com

ويمكن استعراض البحوث وأوراق العمل فيما يلى :

أولاً : الجذور التاريخية للتحديات الحضارية التى واجهت العالم الإسلامى :

يتضمن هذا البحث الموضوعات الآتية :

(١) أسس الحضارة الإسلامية :

١ - عدم التناقض بين العقيدة والفكر :

أهم ما يميز الإسلام أنه لا يقيم أى حواجز بين العقيدة والفكر الإسلامى ، والقرآن الكريم ملىء بالآيات التى تتناول المعرفة فى مختلف فروعها وتوجه الإنسان المسلم إلى التعمق فى أغوارها والبحث فى أدق تفصيلها .

لم يكد يأتى القرن الرابع الهجرى «العاشر الميلادى» حتى كانت الحضارة الإسلامية قد وصلت أوج عظمتها وكان من بين رواد العلوم العقلية علماء من مختلف الشعوب التى اعتنقت الدين الإسلامى فى المشرق والمغرب الإسلاميين .

لقد أتاحت هذه السمة الواضحة للعقيدة الإسلامية أن يعتنق العديد من ملايين البشر الديانة الإسلامية ، بل أن نطاق معتنقى هذه العقيدة تخطى الحدود السياسية للدولة الإسلامية داخل الصحراء الأفريقية وعلى سواحلها الغربية والجنوبية وفى أعماق القارة الهندية والسواحل الجنوبية والشرقية لآسيا وهى كلها من المناطق التى لم تطأها قدم جندى إسلامى واحد ولم تضمها أرجاء الدولة الإسلامية الشاسعة .

٢ - الإعتراف بالديانات الكتابية السابقة :

كان اعتراف الإسلام بالرسالات والكتب السماوية السابقة عليه واعتبارها من التنزيلات الآلهية ، واحترام وتقدير رسلها وأنبيائها من بين العوامل التى حببت الكثيرين من أصحاب هذه الديانات فى الإسلام ، وتوجيهم إلى اعتناقه والأخذ بمبادئه ، فلم يحاول الإسلام أن ينسخ ما سبقه من أديان أو يقلل من شأنها أو شأن معتنقيها وإنما على العكس من ذلك صور القرآن الكريم هذه الرسالات السماوية فى أحسن صورة ولذلك رأينا الأعداد الغفيرة من الشعوب التى دخلها الإسلام تعتنقه عن رغبة وطواعية خاصة وإن المسلمين لم يحاولو فرض العقيدة بالسيف أو بالإكراه كما فعل من سبقهم وكما فعل من جاء بعدهم ، وإنما كان يتركون أمر اعتناق الإسلام للرغبة الصادقة عن اقتناع وتفكير ، وكان الخراج والجزية على المسلمين ضريبة الدم والذود عن أمن الدولة وحدودها وثغورها .

٣ - النظرة الشمولية للحياة في الإسلام :

إن نظرة الإسلام إلى الحياة الإنسانية - مستمدة من الكتاب والسنة - تستبعد تماماً نظرية الرهبانية فى الإسلام وتجعل من العقيدة الإسلامية مظلة لكل ما يهم الحياة الإنسانية من أمور الدين والدنيا ، ومن هنا تناول القرآن الكريم كل ما يمس جوانب الحياة والعلاقات بين الأفراد فى الأسرة والمجتمع والأهتمام بالجوانب الخلقية والسلوكية والثقافية لتكوين الشخصية الحضارية المسلمة مع التركيز على تقنين وتنظير كل هذه المعاملات فى اطار من الرقابة التنظيمية المرتبطة بالمنهج العلمى الصحيح . وإذا كان العرب قد أدركو لأول وهلة دور هذا الدين الجديد فى معالجةكل جوانب حياتهم الخاصة والعامة فإن الشعوب التى انضوت تحت لواء الإسلام لم تلبث أن أدركت نفس الإدراك ووجدت فى العقيدة الإسلاميةإجابة عن كل أمورهم الدنيوية والأخروية وتطويعاً لكل مشاكل الحياة بما فيها الأحوال الشخصية والعلاقات الاجتماعية والمنطلقات الفكرية .

٤ - الإفادة من الحضارات السابقة وامتصاصها :

تفريعاً على ما سبق أن ذكرناه من عدم التناقض بين الفكرة والعقيدة رأينا الإسلام لا يرفض ما سبقه من نظم سياسية وقيم حضارية ونظريات علمية بل العكس من ذلك استفادت الدولة الإسلامية من كل النظم والحضارات السابقة واضطر علماء المسلمين فى سبيل ذلك إلى إجادة اللغات الفارسية والهندية واليونانية واللاتينية ونقل التراث ومؤلفات هذه الحضارات والثقافات إلى اللغة العربية ،

٥ - الأخذ بمبادىء العدل والحرية والمساواة :

اهتم الإسلام بابراز الشخصية الإنسانية وتميزها على كل ما خلقه الله سبحانه وتعالى من كائنات أخرى ، مصداقاً لقوله تعالى فى سورة الأسراء « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً » (١) .

٦ - الدور الذاتي في الدعوة إلى الإسلام :

لم تعتمد العقيدة الإسلامية فى انتشارها فى أرجاء القارات على مؤسسات تنظيمية وارساليات تبشيرية وميزانيات معتمدة تستهدف إغراء الناس باعتاق الإسلام ،

(١) آية رقم ٧٠ من سورة الإسراء .

ولكنها اعتمدت على الجهود الذاتية المنبعثة عن عمق العقيدة فى قلوت أصحابها نخص من هؤلاء علماء الإسلام وفقهاؤه والرحالة والتجار والجغرافيون والمعلمون ، كما اعتمدت أيضاً على اهتمام التجمعات الإسلامية بإنشاء الجوامع والمساجد والمدارس والكتاتيب وغيرها من الأبنية الدينية والتعليمية التى كانت تقوم أساساً على الجهود الذاتية واتبرعات المادية والعينية .

ولعل مما يثير التساؤل عند كثير من المفكرين ظاهرة عمق العقيدة الإسلامية فى بلاد لم تطأها قدم جندى إسلامى واحد فى شرق وغرب وجنوب افريقيا وجنوب شرقى آسيا حتى أن هؤلاء المسلمين خاضوا ومازالوا يخوضون لعدة قرون حروباً ضد المستعمرين والأغلبيات المسيحية على الرغم من عدم التكافؤ فى المال والسلاح .

٧ - غلبة الإيمان بالعقيدة على الحركات الانفصالية :

ليس من شك فى ان الحركات الانفصالية عن جسم الدولة الإسلامية فى العصر العباسى الثانى كان لها أثرها على قوة الدولة السياسية خاصة بعد أن سيطرت العناصر الدخيلة على عاصمة الخلافة تركية أو بويهية أو سلجوقية ولكن هذا التأثير لم يمتد إلى الجوانب العقيدية والفكرية ، حتى أن القيادات الإدارية والتنظيمية للدويلات الإسلامية الشرقية والغربية كانت شديدة الولاء والانتماء للعقيدة الإسلامية حيث أنها كانت تعتبر هذا الإيمان جسر بقائها واستمرارها فى قواعدها . وكانت وسيلتها إلى تمكين هذا التعبير تكمن فى الجوانب التالية :

١ - كثرة اهتمامها ببناء الموسسات الدينية وفى مقدمتها الجوامع والمساجد ومدارس تحفيظ القرآن الكريم وتدريس الفقه والحديث والشريعة واللغة العربية ، ونجد ذلك واضحاً فى الدويلات الإسلامية المستقلة كالطولونية والاخشيدية والأيوبية والمملوكية، فقد كثر تشييد السبل ومدارس تحفيظ القرآن اضافة إلى الجوامع والمساجد ، وما حدث فى القسم الغربى من الدولة الإسلامية حدث فى قسمها الشرقى .

٢ - الاهتمام باجتذاب الفقهاء والمحدثين وغيرهم من علماء الدين ، الذين ساعد اجتهادهم ومؤلفاتهم ومناظراتهم على تعميق وتأصيل العقيدة الدينية عند الناس لدرجة أن سمعة هؤلاء العلماء كانت تجذب إليهم التلاميذ والمريدين من مختلف أنحاء العالم الإسلامى وانتشرت المذاهب الفقهية خارج نطاق حدودها كما حدث

بالنسبة للفقه المالكي الذي انتشر في شمالي افريقيا والمغرب والأندلس وفقه الأحناف الذي انتشر في شرق العالم الإسلامي .

٣ - الاهتمام بنشر الديانة الإسلامية سواء كان ذلك بعمليات التوسع التي سبق أن تحدثنا عنها في الهند وشرقي آسيا أو عن طريق الفقهاء والعلماء الذين نشروا العقيدة في المجاهل الأفريقية والجزر المتناثرة في جنوب شرقي آسيا .

وهكذا لم تكن للحركات الأنفصالية تأثيرات عكسية على نشر العقيدة الإسلامية وشيوعها بل كانت على العكس من ذلك عاملاً من عوامل انتشارها وذيوعها .

٨ - وحدة مصادر التشريع وإرساء قواعد ونظم الحكم الإسلامي بعد الهجرة :

لدراسة هذا العامل لابد من الإشارة إلى النقاط التالية :

١ - وحدة مصادر التشريع في الإسلام .

٢ - الوحدانية والتكوين الحضاري للشخصية المسلمة .

٣ - وضع الأصول التكوينية للمجتمع الإسلامي .

٤ - إرساء قواعد ونظم الحكم الإسلامي بعد الهجرة .

التحديات التي واجهت العالم الإسلامي :

تعرضت الدولة الإسلامية لبعض عوامل الضعف والتفكك والاضمحلال منها ما هو داخلي ذاتي : كالسبئية والعصبيات القبلية وحركات الخوارج والقرامطة والزنج والباطنية والشعوبية والزندقة ، والحركات الانفصالية وأطماع العناصر الدخيلة ، ومنها ما هو خارجي مادي عدواني كالغارات المغولية ، والحركات الصليبية والمد الاستعماري والعدوان الصهيوني ، ومنها ما هو خارجي فكري كالأيدلوجيات المستوردة والاتجاهات الفكرية المنحرفة وافتراءات بعض المستشرقين .

العوامل الداخلية :

أولا : الخلافات الحزبية والمذهبية :

كانت السبئية المنطلق المذهبي لبعض الحركات الشيعية المتطرفة ، وفي مقدمتها الكيسانية والرافضة والقرامطة وغيرها ، والسبئية نسبة إلى (عبد الله بن سبا) وهو يهودي من أصل يمني إدعى الإسلام وبدأ يستغل المرارة التي كانت عند بعض العلويين

الذين كانوا يؤمنون بأحقية سيدنا على بن أبى طالب - رضى الله عنه - فى الخلافة وينحرف بها إلى منعطفات واتجاهات رفضها الإمام رفضاً قاطعاً وكذلك أنصاره .

وفى عهد الدولة الأموية ظهرت على مسرح الأحداث مذاهب فكرية وسياسية وكلامية ، وانطلق الخوارج من قماقمهم يثيرون الفتن والقلاقل فى كل مكان ، وظهرت بعض الأحزاب السياسية وفى مقدمتها الكيسانية والزيدية ، وانشطرت بعض هذه الأحزاب من داخلها إلى عشرات الفرق كما حدث بالنسبة للخوارج ، وأعلن كثير من الموالى سخطهم على الدولة الأموية .

ثانيا : العصبيات القبلية :

حدث فى عهد الخلافة الأموية ، وفى أواخر الفرع السفيانى ، أن انضم المضريون إلى الزبيريين فى المطالبة بخلافة (عبد الله بن الزبير) ووقف اليمنيون إلى جانب الأمويين، وعادت لأول مرة نيران العداوة العصبية التى أخمدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى موقعة (مرج راهط) التى ظلت رايتها الخلافية ترفع فى كل موقع من مواقع الدولة الإسلامية ، من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ، كما قام الخلاف بين اليمنين والمضريين ، إلى الدرجة التى اعتبرها بعض المؤرخين أشبه بالداء العضال الذى كان يضعف من قوة الدولة ، ويؤثر على وحدتها وكيانها .

ثالثا : الشعوبية :

الشعوبية حركة عدائية للعرب والعروبة ، وكانت كما قال البعض كلمة حق يراد بها باطل استناداً إلى قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴾ ، ولكن هذه الحركات نبتت فى أول الأمر كظاهرة احتجاج ضد سياسة الدولة الأموية فى فارس وما والاها من البلاد التى انضوت تحت الإسلام واتهموها بإتجاهات عنصرية تقصر على إسناد الوظائف الهامة فى الدولة كإمارة البلدان وجباية الخراج والشرطة والحسبة وغيرها إلى العناصر العربية وقد اشتد الغضب الشعوبى حين اضطر بعض خلفاء الأمويين بسبب الخوف من تناقص موارد بيت المال إلى إبقاء الجزية عمن يعتنقون الإسلام من الموالى ، وأن تظل إراضيهم أراضى خراجية ولا تتحول إلى أراضى عشرية كتلك التى جعلت الكثيرين من الموالى يساندون كل الثوارات السياسية والدينية

والمذهبية التي قامت ضد الدولة الأموية فوقفوا إلى جانب الكيسانيين والخوارج وأخيراً ساندوا العباسيين في دعوتهم ضد الأمويين حتى سقطت الدولة الأموية سنة ١٣٢هـ .

رابعا : طموحات العناصر الداخلية :

الإسلام دين عالمي شامل يتسع لكل الناس والشعوب والأمم والقبائل ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴾ ومن هذا المنطلق كان رفض الإسلام للتمييز العنصري والتفرقة بين الناس على أساس من السلالة أو اللون أو الثروة .

ولكن الخطورة تكمن حين تتحول بعض هذه العناصر (بعيداً عن سماحة الإسلام) تتحول إلى أدوات لإضعاف نظام الدولة الإسلامي كما حدث في محاولات بعض المتطلعين من زعماء الخراسانيين في الدولة العباسية ثم تسلط الأتراك والبويهيين وغيرهم مما أدى إلى إضعاف الخلفاء العباسيين ، وإنهاء الدولة العباسية على يد المغول سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م .

لقد كانت أطماع قيادات هذه العناصر في العصر العباسي الثاني عاملاً ليس فقط في إضعاف أمر الخلفاء العباسيين وإنما في المساعدة على خلق كيانات ودويلات مستقلة أضعفت من وحدة الدولة الإسلامية .

خامسا : ظهور العديد من الدويلات الإسلامية المستقلة :

كان من نتيجة الحركات الشعوبية وطموحات زعامات العناصر الدخيلة أن تفككت عرى وحدة الدولة الإسلامية شرقاً وغرباً ، وبدأت الصراعات المختلفة تقوم بين هذه الدول وبعضها وأن الدراسي لتاريخ الدولة الإسلامية ابتداء من العصر العباسي الثاني يلمس إلى حد كبير قيام هذه الدويلات وسقوطها وصراعاتها وخلافاتها مما كان له تأثير كبير على وحدة الدولة الإسلامية ابتداء من العصر العباسي الثاني .

سادسا : عدم الإدراك الواعي لفلسفة العقيدة والفكر الإسلاميين :

سبق أن تناولنا بالحديث عدم وجود أي تناقض بين العقيدة والفكر في الإسلام ، وأن الدين الإسلامي دين شمولي يجمع بين الدين والدنيا مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم (أعمل لدينك كأنك تموت غداً ، وأعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً) .

وليس أبلغ من هذا الحديث دليلاً على أنه لا رهبانية ولا كهنوتية ولا إنعزالية فى الإسلام ، ولكن بعضاً ممن لم يكن عندهم تصور واضح لفلسفة العقيدة والفكر الإسلاميين تصور لفترة من الفترات أن الدين الإسلامي يقتصر على مجرد العبادات الظاهرة وأنه يتعارض مع مظاهر التطور العلمى والفكرى الإنسانى ، ونحن لا ننكر على الدولة العثمانية مثلاً دورها القيادى فى الذود عن كثير من الأراضى الإسلامية ضد الهجمات الصليبية الشرسة الآتية من جانب الأسبانيين والبرتغاليين عقب نجاحهم فى إزالة الدولة الإسلامية فى الأندلس ، والحيلولة دون الأفكار الإجرامية ضد الأماكن المقدسة ، ولكن عدم الإدراك الحقيقى لفلسفة وفكر الإسلام وقف حائلاً دون عمليات التطور الفكرى والحضارى، فى وقت بدأت فيه الحركات السياسية والإنقلابات الصناعية تجتاح أروبا مما أدى إلى إصابة العلم الإسلامى بظاهرة التخلف الحضارى وقد أتاح ذلك للإستعمار الأجنبى إستغلال هذا الركود والجمود لبسط ظلاله على كثير من البلاد الإسلامية الواقعة فى إطار الدولة العثمانية .

العوامل الخارجية :

أولا : العدوان المغولى والصليبى والإستعمارى :

تعرضت الدولة الإسلامية للعدوان الخارجى عليها إعتباراً من القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) ، وتمكن المغول من تقويض الدولة العباسية بعد أن إستمرت فى الحكم قرابة خمسة قرون ونصف ، ثم حاولوا اجتياح بقية العالم الإسلامى لولا وقوف مصر الإسلامية ضد هذا الغزو وإنهاء هذا الزحف المدمر للحضارة الإسلامية عند (عين جالوت) فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى .

فى أثناء ذلك كانت الصليبية المسيحية تستعد لعدوانها على العالم الإسلامى الذى كان يقترب رويداً رويداً من رئتيها المسيحيتين فى روما وبيزنطة ، وظهرت فى أوروبا موجة صليبية عاتية تتجه للقضاء على الكيان الإسلامى ، وقد بدأت هذه الموجة أول ضرباتها فى المغرب الإسلامى والأندلسى فى محاولات للقضاء على الوجود الإسلامى فى أسبانيا ، وفى نفس الوقت كانت الحملات الصليبية تتابع واحدة بعد الأخرى ، إلى أن تمكنت الوحدة المصرية السورية بقيادة صلاح الدين الأيوبى من وقف هذا المد الصليبى .

وليس من شك في أن ذلك كله قد أصاب العالم الإسلامي بضربات شديدة في مختلف مواقعه مما أتاح للحركة الإستعمارية المادية والإقتصادية أن تجد سبيلها الميسر إلى مختلف أراضيه وتحولت الشعوب الإسلامية إلى أفواه مستهلكة لكل ما ينتجه الإنقلاب الصناعي الأوروبي ، وبدأ الأمر بإحتلال إنجلترا لعدن سنة ١٨٣٩م ومحاولة فرض السيطرة على شرق وجنوب شرق الجزيرة العربية ، واحتلت فرنسا الجزائر عام ١٨٣٠م وتونس ١٨٨١م ، وبريطانيا مصر سنة ١٨٨٢م ثم لم تلبث أن احتلت إيطاليا ليبيا واحتلت فرانسا مراكش ، ولم تكد تنتهي الحرب العالمية الأولى حتى كان الهلال الخصيب كله تحت الاحتلال الأجنبي .

ثم كانت الطامة الكبرى حين تمت الزيجة السياسية بين الإمبريالية الإستعمارية والصهيونية العالمية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، وكانت هدية هذه الزيجة تقديم فلسطين للصهيونية العالمية ، ومنذ ذلك الوقت والإمبريالية الإستعمارية والصهيونية العالمية تشكلان أكبر خطر يهدد العالم العربي والإسلامي بوجه عام .

ثانيا : حركة الإستشراق :

ولم يقتصر العدوان الخارجي على العالم الإسلامي في جانبيه المادي والعسكري وإنما تمثل في عملية التسرب الفكري والثقافي التي تعتبر أشد خطراً وفتكاً فمنذ القرن الخامس عشر الميلادي ومحاولات المخاطرين والمكتشفين الأجانب مستمرة في العدوان على تراثنا الفكري والثقافي بطرق وأساليب مختلفة ، منها ما يتسم بالعلنية ، ومنها ما يتسم بالسرية ، وأنشئت كليات ومعاهد الاستشراق في دول أوروبا الغربية ، حيث كان ينقل إليها ما أمكن حمله من مصادر التراث الإسلامي .

وكثيراً ما قرأنا وسمعنا لعشرات البعثات الإستكشافية والإرساليات التشيرية الموفدة من المعاهد الاستشراقية والهيئات الكنسية ، التي كانت تستهدف في الأصل الاستشار بالمصادر الإسلامية ، وغسل العقول البدائية من أركان العقيدة ، وأنشئت المؤسسات التربوية والتعليمية والصحية في الداخل ، كما ألفت الكتب والمراجع المليئة بالمغالطات المكشوفة في التاريخ الإسلامي .

وليس من شك في أن ما قامت به الجامعات الإسلامية ، ومازالت تقوم به من كشف لهذه المغالطات العلمية بالأساليب العلمية الصحيحة ، إنما يمثل دوراً أساسياً في إضعاف موجات الالحاد والتشكك والتيارات الفكرية التي قد يتعرض لها الشباب الإسلامي .

ثالثا : بعد مسافة التخلف بين الدول الصناعية والدول الإسلامية النامية :

يضاف إلى كل ما سبق بعد مسافة التخلف بين الدول الصناعية والدول الإسلامية النامية ، ذلك البعد الذى يزداد إتساعاً يوماً بعد يوم بسبب عملية التطور العلمى والتكنولوچى عند الدول الصناعية خاصة وأن هذه الدول تسعى جاهدة للحيلولة دون المحاولات التى تبذلها الدول الإسلامية للحصول على التكنولوچيا الحديثة ، وانتقالها من مرحلة الدول المستهلكة إلى مرحلة الدول المنتجة .

وعلى الرغم من الخلافات التى قد تبدو بين الكتل المتصارعة فى عالم اليوم إلا أنها تتفق على شئ واحد وهو الوقوف فى وجه هذا العملاق الإسلامى بشتى الطرق لأنهم يقرأون التاريخ ويعلمون إلى أى حد تمتد جذور هذا العالم الإسلامى إلى الأعماق .

ولعلنا نذكر فى هذا المجال ذلك المؤتمر الذى عقد فى لندن سنة ١٩٠٧م واكتملت فيه كل الدول الصناعية الاستعمارية برئاسة كامبل بنرمان رئيس الوزراء البريطانى وكان هذا المؤتمر ينظر فى الوسائل التى توصل إلى الإبقاء على الظاهرة الإستعمارية فى مواجهة حركات التحرر ، وانتهى النقاش إلى أن العالم الإسلامى يشكل الخطر الرئيسى لمستقبل الدول الصناعية ، وكانت العقيدة القرآنية واللغة المشتركة من بين الأسس التى رؤى التركيز على ضرورة إضعافها وتصفيتها ووضعت سياسة هذا المؤتمر على أساس تشجيع اللهجات العامية ، وإضعاف العقيدة الإسلامية وإثارة الطائفية الدينية والعنصرية وخلق دولة يهودية فى قلب هذا العالم الإسلامى تمتص كل موارده القومية الرئيسية ، وزيادة مساحات التخلف بين الدول الصناعية المتقدمة والدول الإسلامية النامية .

وعلى الرغم من إمتلاك العالم الإسلامى لأكبر نسبة من أعظم مصادر الطاقة وهو البترول ، واعتماد الدول الصناعية على هذا النفط إلا أن السياسة المخططة لهذه الدول بمؤسساتها الضخمة وشركاتها العالمية وإمكانياتها الواسعة تحول دون شك فى الوصول إلى ما تصبوا إليه الدول البترولية الإسلامية من تطور وتقدم يواكب التطور والتقدم العالميين .

ثانيا : الاستجابات الإسلامية الحديثة للتحديات الحضارية فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ، ويتضمن هذا البحث الموضوعات الآتية :

(أ) الدعوات السلفية :

أطلق تعبير «الدعوات السلفية» على كل من الدعوة الوهابية ، والدعوة السنوسية، والثورة المهدية بسبب ما أتت به من مبادئ تدعو المسلمين إلى ما كان عليه السلف الصالح منذ زمن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، وهذه الدعوات وان اختلفت مناطق انبعاثها وتعددت أساليبها إلا أنها ذات مبادىء موحدة وأهداف متشابهة وكلها استفادت من جهود العلامة «أحمد بن تيمية» فى مواجهة الخارجين على جوهر الدين الإسلامى «كالباطنية» التى اتخذت ما عرف بمدأ الإشراق الإلهى ومعناه أن المعرفة تشرق على أئمتهم فتسموا بهم إلى مرتبة لا ينالها غيرهم ، أى أن الله يفيض عليهم نور المعرفة فتنكشف لهم الحقائق فيعرفون بواطن الأمور وظواهرها ، وكفرقة «النصيرية» التى أعانت التتار على محو الإسلام . كما رأى ابن تيمية أن الجهلة من عامة الناس ينحتون فى الصخور أقداما وأكفا يدعون أنها للنبى محمد عليه الصلاة والسلام فيقدسونها ويتباركون بها أو يصنعون أصناماً يسجدون لها .

ومن ثم وجه «ابن تيمية» دعوته بالرجوع إلى القرآن والسنة واتباع السلف الصالح فى فهم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وترك طريق الفلاسفة والمتكلمين لأنها لا تتفق مع الروح السلفية القديمة ، ومحاربة البدع والنكرات ولا سيما ما كان منها وسيلة للشرك بالله وترك الغلو فى تقديس الرسول صلى الله عليه وسلم والاكتفاء بالاقتداء بهديه . وفتح باب الاجتهاد على مصراعيه ، ولعن من اتخذ من القبور مساجد فقد ورد نهيه صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد ، ولعن من يفعل ذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم «لعن الله زائرات القبور» ، وكان العكوف على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء عندها وفيها ونحو ذلك هو أصل الشرك وعبادة الأوثان ، لهذا قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : اللهم لا تجعل قبرى وثنا بعدى» .

ويجب أن يكون واضحاً إذن من البداية أن دعوة التوحيد التى نادى بها العلامة «أحمد بن تيمية» كانت عاملاً مشتركاً لكل الحركات الدينية الأخرى ، كما كانت هناك عوامل أخرى اشتركت الدعوات السلفية فى التأثر بها مما يجعلنا نعتقد بوحدة هذه

الدعوات فى الهدف وفى المصير ، خاصة ان هذه الدعوات جاءت فى الوقت الذى كان الوطن العربى يخضع للسيادة العثمانية التى فرضت على العرب عزلة وجموداً فكرياً جعلت الإسلام فى الأقطار العربية وخاصة بين الأطراف مشرب بالمساوىء التى لا تمت إلى الدين الصحيح بنسب .

ويمكن أن نحدد فى البدء عوامل التشابه بين الدعوات السلفية الثلاث على النحو التالى :

أولا : أصحاب الدعوات :

تنتسب الدعوة الوهابية إلى العلامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كما تنتسب الدعوة السنوسية إلى الشيخ محمد بن على السنوسى ، والدعوة المهدية إلى الشيخ محمد أحمد بن عبد الله الملقب بالمهدى المنتظر ، فوجه الشبه الأول جاء فى التسمية باسم «محمد» تيمنا باسم رسول الإسلام ، كما يتشابه أصحاب الدعوات السلفية الثلاث فى المكونات الشخصية ، «فمحمد بن عبد الوهاب» ينحدر من أصول عربية تنتهى به إلى «مصر» وهى بطن من بطون تميم أكبر القبائل العربية وأعزها .

كانت أحوال المسلمين الدينية متشابهة فى تلك الأزمان التى سبقت ظهور الدعوات السلفية ، حيث غلب عليها اتباع البدع والخرافات بل والاستغاثة بغير الله ، مما استدعى وجود مصلحين . فقد سيطر على أهل نجد سحباً من الخرافات وكثر عدد الأدعياء الجهلاء الذين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون فى أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات ، فلو عاد صاحب الرسالة - محمد صلى الله عليه وسلم - إلى الأرض فى ذلك العصر ورأى ما كان يدعى الإسلام لغضب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين كما يعلن المرتدون وعبدة الأوثان .

وعلى هذا كان التدهور فى المجتمع الإسلامى يسير بسرعة حتى أصبحت القيم التى أكسبها الإسلام لمجتمع شبه الجزيرة العربية قد اضمحلت واندثرت أو كادت ، واحتلت الضلالات والبدع والخرافات والأساطير فى نفوس العامة وغير العامة محل القيم الصحيحة للإسلام ومبادئه حتى أصبحت بعض الأشجار والكهوف والمغاور والقباب والقبور والأضرحة موضع قداسة وشفاعة أقرب إلى العبادة ، وحتى أضحت تعاليم الإسلام التى تضبط

المجتمع وتحكم روابطه نسياً منسياً ، وكان الإسلام لم يظهر فى شبه الجزيرة العربية ولم يترك أثراً حضارياً لا على رمالها ولا فى عقول أبنائها ونفوسهم .

ولم تكن نجد تنفرد بمثل هذه الخرافات والبدع ، فقد شاركتها فيها بقية أجزاء شبه الجزيرة العربية وغيرها من الأقطار الإسلامية التى تعرضت لمثل ظروف شبه الجزيرة العربية وأعنى الظلم والفقر والجهل ، وهى ظروف ساعدت على كثرة الدجالين وأصحاب البدع ممن يجدون لبضاعتهم سوقاً رائجة فى دنيا العوام وأشباه العوام .

ونفس الشىء يمكن أن يقال عن أحوال أهل برقة الدينية ، ذلك أنه بحكم مرور السنين وإهمال المصلحين الدينيين لوظيفتهم قد جعلت البرقاويين يحيدون عن أصول الإسلام الصحيحة ، وغير متفهمين للعقيدة وإنما مقلدين ، ومن ثم أصبحوا سائرين فى غيابات الضلال معرضين لخطر أصحاب النفوذ من شيوخ البدو فى الجبل الأخضر شبيها بالكعبة قصدوا به تقليد البيت الحرام ، وقد أراد مؤسسو هذه الكعبة الزائفة أن يدخلوا فى أذهان البدو أن زيارتهم لها تقوم مقام حج بيت الله الحرام إلى غير ذلك من أعمال تنافى الدين كوأد البنات وعدم صوم رمضان بابتداع بدعة تقوم على الذهاب قبل حلول شهر رمضان بأيام إلى وادى «زازا» المعروف بقوة رجع الصدى وسؤاله أيصومون رمضان أم لا ؟ فيجب الصدى بالكلمة الأخيرة «لا» فيصبحون فى حل من الصوم ويفطرون .

وأما أمور السودانيين الدينية فلم تختلف عن أمور النجديين والرقاويين ، ذلك أن الإسلام عندما دخل إلى السودان على أيدى القبائل العربية لم ينتشر بين أهل البلاد بالتبشير أو الدعوة إلى الدين ، وإنما انتشر بالوسيلة الاجتماعية والتسرب السلمى ; بالاصهار إلى الشعوب المحلية ، ثم إمتصاص هذه الشعوب فى الدماء العربية الوافدة ، ثم اندماج هذه القبائل فى الحياة القبلية الجديدة . وكانت النتيجة الحتمية لهذا الإندماج الاجتماعى اعتناق جيل المولدين دين الأمهات ودين القبيلة صاحبة النفوذ ، ثم ازدياد التيار الإسلامى عمقاً بمضى الزمن .

وقد ساعد على ذلك أن العرب فى كل بلد نزلوا فيها بعد الفتح الإسلامى لم يكونوا طبقة حاكمة متعالية ومنعزلة عن السكان الأصليين ، ولم يطالبوا بحكم ذاتى أو مملكة خاصة ولكن كانت لهم أحياؤهم الخاصة فى المدن الكبيرة ولهم قراهم الخاصة ، والدلائل واضحة على أنهم فى بعض المناطق خضعوا لحكام البلاد .

ونتيجة للانقسامات بين القبائل السودانية من ناحية وشيوع مظاهر الفقر والجهل ظهرت زعامات دينية صوفية متنافسة لا تهتم بأصول الإسلام وقواعده الأساسية ، مما ساعد على سواد العاطفة والخرافات بين السودانيين ، وجعل السودانيين ينسبون إلى رجال الدين المعجزات بل وقدسوهم أكثر من تقديس الأنبياء في الوقت الذى ضعف فيه مستواهم العلمي فلم يكن باستطاعتهم التمييز بين الخرافات والعقيدة الصحيحة .

انطلقت الدعوات السلفية الثلاث من منطلق دينى استناداً على التكوين الدينى لشخصيات أصحابها وحيث كانت الظروف الدينية للمسلمين تستدعى مخاطبتهم من الناحية الروحية أولاً لتطبيق البرنامج الشامل لكل دعوة . وهذا يعنى أنه كان لكل صاحب دعوة برنامجاً شاملاً فى النواحى الدينية والاجتماعية والسياسية . واختيار أصحاب الدعوات للجانب الدينى فى البرنامج لتنفيذه يدل على اعتبار أن اصلاح هذا الجانب فى نفوس المسلمين أساس لكل اصلاح ولكل ناحية .

والفكر الدينى عند أصحاب الدعوات السلفية (الوهابية ، السنوسية ، المهدية) متكامل ومتشابه ، وان بدا بعض الخلاف فى ناحية أو أكثر من نواحى هذا الفكر فإنما يرجع إلى اختلاف فى الظروف المحيطة بصاحب كل دعوة أو بمدى طموحه فى تنفيذ برنامجه . والشيء الواضح فى فكر أصحاب الدعوات الثلاث هى الدعوة إلى رجوع المسلمين إلى ماكان عليه السلف الصالح من سلوك دينى منذ زمن الرسول عليه الصلاة والسلام وهو ما يطلق عليه المنهج المدرسى أو المنهج الملتزم .

يشيع بين البعض أن دعوات الاصلاح السلفية ذات مضمون دينى فقط وليس لها مضمون اجتماعى ، أى أن أصحاب هذه الدعوات لم يكن لهم برنامج اجتماعى ، والحقيقة غير ذلك لأن برنامج الاصلاح عند كل صاحب دعوة سلفية كان برنامجاً شاملاً موجهاً إلى مجتمعات ذات تراث دخلته شوائب ، والاصلاح الاجتماعى أمر له أهميته لنجاح مبادىء الاصلاح الشاملة .

(ب) الجامعة الإسلامية :

كانت فكرة الجامعة الإسلامية مظهراً آخر لليقظة الإسلامية التى أخذت دورها بين الشعوب العربية والإسلامية خلال القرن التاسع عشر ، ولكى نستجلى هذه الظاهرة وضوحاً علينا أن نلقى الضوء على الظزرف التى أدت إلى ظهورها ، وعلى الشخصيات التى ارتبطت بها ، وعن الفكرة نفسها أبعادها وأهدافها ونتائج الدعوة إليها .

أولاً : ظروف العالم الإسلامي :

يمكن القول أن العالم الإسلامي تعرض منذ أوائل القرن الحادي عشر الميلادي لعوامل تخلف وفوضى نتيجة الغزو الصليبي والوجود التركي في آسيا الصغرى ، ثم جاءت الغزوة المغولية عام ١٢٥٨م على الجناح الشرقي للعالم الإسلامي - إيران فالعراق - لتزيد من تخلف المسلمين وتضرب الحضارة العربية الإسلامية بضربة قاصمة غير تلك الضربة التي لحقت بالعرب والمسلمين بخسارتهم للأندلس لصالح الكاثوليك الأسبان .

وخير تصوير لحال المسلمين في القرن التاسع عشر ما ذكره الكاتب الأمريكي «لوثروب ستودارد » في كتابه «حاضر العالم الإسلامي» عند حديثه عن اليقظة الإسلامية في القرن التاسع عشر (١٤٢) . إذ يقول : كان العالم الإسلامي في القرن الثامن عشر قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ . وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب ، وتلاشى ما كان باقياً من آثار التهذيب العربي ، واستغرقت الأمم الإسلامية في اتباع الأهواء والشهوات ، وماتت الفضيلة في الناس ، وساد الجهل ، وانطفأت قبسات العلم الضئيلة ، وانقلبت الحكومات الإسلامية إلى مطايا استبداد وفوضى واغتيال ، فليس يرى في العالم الإسلامي - في ذلك العهد - سوى المستبدين الغاشمين ، كسلطان تركيا وأواخر ملوك المغول في الهند يحكمون حكماً واهناً .

وفي حياة المسلمين الدينية والاجتماعية لعب رجال الدين المستبدين وغير الأمناء دوراً سيئاً ، حيث كثر عدد الأدعياء الجهلاء الذين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون في أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات ويوهمون الناس بالباطل والسبهات ، ويرغبونهم في الحج إلى قبور الأولياء ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور ، وغابت عن الناس فضائل القرآن ، فصاروا يشربون الخمر ، وانتشرت الرذائل ، فقلت الأيدي وقعدت عن طلب الرزق وكاد العزم يتلاشى في نفوس المسلمين ، وبارت التجارة بواراً شديداً وأهملت الزراعة أيما اهمال .

وكانت مصر - منارة العالم الإسلامي آنذاك بوجود الجامع الأزهر وعلمائه ومؤسسات التعليم الحديث التي أوجدها محمد علي وحفيده إسماعيل - تعيش هي الأخرى عصراً من الفوضى وسوء الحكم ، فلم يكن المصريون آنذاك يرون شئونهم العامة بل الخاصة

ملكاً لحاكمهم الأعلى ومن ينيبه عنه فى تدبير أمورهم ، يتصرف فيها بحسب إراداته ، ويعتقدون أن سعادتهم وشقائهم موكولان إلى أمانته وعدله ، أو خيانته وظلمه ، ولا يرى أحد منهم لنفسه رأياً يحق له أن يبديه فى إدارة بلاده ، أو إرادة يتقدم بها إلى عمل من الأعمال يرى فيها صالحاً لأمته ، ولا يعلمون من علاقة بينهم وبين الحكومة سوى أنهم يحكمون مصرفون فيما تكلفهم به الحكومة ، وتضربه عليهم ، وكانوا فى غاية البعد عن معرفة ما عليه الأمم الأخرى سواء كانت إسلامية أو أوروبية .

وكانت أحوال الشرق الإسلامى عامة تسير من سىء إلى أسوأ ، فالجهل والخرافات والأوهام والعادات والبدع انتشرت بين المسلمين ، كما انتشر بينهم داء الفرقة والخلاف فلا رابطة اجتماعية تجمعهم لتحقيق الخير لهم فأخذهم الفقر فى كل أقطارهم على غنى بلادهم واتساعها وخصبها ولكنهم بجهلهم لا يعملون على الانتفاع ، وشملهم الذل والهوان على قوتهم وكثرة عددهم وتركوا بلادهم نهباً مقسماً بين الأوروبيين ، ورضوا بأن يكونوا له خداماً طائعين .

ويمكن أن نضيف ما أصاب المسلمين من اسراف وتبزير فى الانفاق على أفراحهم وأمواتهم حتى يخسرون أموالهم وممتلكاتهم التى يأخذها الأجانب - إلى جانب داء التواكل الذى كبل عقولهم عن التفكير وأيديهم وأرجلهم عن العمل والسعى وأسلموا أمرهم للأجنبى ، وصاروا يتمسكون بأمثال مثبطة للهمم مؤدية للشلل الاجتماعى مثل قولهم «سيبها على الله» و «لا تفكر ولها مدبر» و «اصرف ما فى الجيب يأتيك ما فى الغيب» و «مراد الخالق من الخلق ما هم عليه» و «لهم - أى للأجانب - الدنيا ولنا الآخرة» و «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور» .

ثانياً : الشخصيات التى ارتبطت بفكرة الجامعة الإسلامية :

ساد اعتقاد بأن حركة الجامعة الإسلامية كظاهرة من ظواهر اليقظة الإسلامية فى القرن التاسع عشر ارتبطت بشخصية السيد جمال الدين الأفغانى وأنها ماتت بموته ، والحقيقة غير ذلك إذ أن فكرة الاصلاح الدينى والاجتماعى والسياسى وجدت عند السيد جمال الدين وهو فى بلاده أفغانستان كما وجدت عند تلميذه وصديقه الشيخ محمد عبده فى مصر ، وعند السيد محمد رشيد رضا الحجازى الأصل بعد اتصاله بالشيخ محمد

عبده. ثم أن السلطان عبد الحميد الثاني سلطان الامبراطورية العثمانية ارتبط اسمه بالجامعة الإسلامية حين أراد استغلالها لتدعيم سلطانه وفرض نفوذه على كل المسلمين حتى على أولئك الذين لم يخضعوا من قبل لسلطان الدولة العثمانية .

ثالثاً : الاستجابات الإسلامية المعاصرة للتحديات الحضارية في القرن العشرين الميلادى . ويتضمن هذا البحث الموضوعات الآتية :

(أ) الوحدة الإسلامية :

أولاً : مقومات الوحدة الإسلامية :

تأثرت أقطار الوطن العربى والأقطار الأسيوية المجاورة بحركة ديناميكية فى القرن السابع الميلادى هى ظهور الإسلام فى شبه الجزيرة العربية ، وهذه الحركة الإسلامية وما يتصل بها وما يمكن تسميته أيضاً بالحركة العربية التى ظهرت بها قوة اللغة العربية التى رافقت الإسلام كدين فى انتشاره السريع قد أثرت على المجتمعات التى انتشر بها من القرن السابع الميلادى حتى الوقت الحاضر ، وظهر تأثيرها فى جميع نواحى حياة الإنسان فى ذلك الوقت .

وتعتبر حضارة الأقطار العربية والإسلامية خلاصة تفاعلات بين ثقافات واتجاهات وأجناس وشعوب مختلفة تآلفت وإمتزجت فى ظل الخلافة الإسلامية التى ظهرت أولاً فى شبه الجزيرة العربية عندما ظهر الإسلام وانتشر فى أيام الخلفاء الراشدين ، ثم فى ظل دمشق عاصمة الأمويين فبغداد عاصمة العالم الإسلامى فى عصر الخلفاء العباسيين ، ثم فى ظل القاهرة كعاصمة عربية للخلافة الإسلامية .

وتعتبر المرحلة الأولى لظهور الإسلام وانتشاره هامة نظراً لظهور عوامل أساسية أدت إلى وحدة الثقافة الإسلامية لب الوحدة الإسلامية وجوهرها ، وهذه العوامل هى :

١ - الوحدة الروحية التى جمعت الشعوب الإسلامية عربية وغير عربية .

٢ - ارتباط الدين بالسياسة ، فقد كان الخليفة هو الزعيم السياسى إلى جانب كونه الزعيم الدينى للمسلمين ، مما ساعد على أن يكون للدين الإسلامى أثر عميق فى كل مرافق وميادين الحياة فى أنحاء العالم العربى والإسلامى .

٣ - شيوع مبادىء الإخاء والمساواة التى تحطم الحواجز بين الناس دون النظر إلى الجنس أو اللون ، وهذه المبادىء تستند إلى الشرائع السماوية التى أتى بها الدين .

وقد انتشر الإسلام بمبادئه الروحية والاجتماعية والسياسية والفكرية خارج شبه الجزيرة العربية ووصل فى انتشاره إلى مختلف قارات الأرض وقد أظلت راية الإسلام ما بين نقطة الغرب الأقصى إلى «تونازنى» على حدود الصين فى عرض ما بين «قازان» من جهة الشمال وبين «سرنديب» تحت خط الإستواء أقطار متصلة وديار متجاورة يسكنها المسلمون وكان لهم فيها السلطان الذى لا يغالب . وكانت حركة انتشاره قوية نشطة فى بدايتها حتى بدا كأن الأقطار التى انتشر بها تكون كتلة إسلامية متماسكة قوامها أن المسلمين مهما بعدت بينهم الديار التى يسكنونها وتباينت اللغات واختلفت الأجناس ، هم أصحاب وحدة فى التوجيه وأصحاب وحدة فى اعتبار المصدر المقدس الأكبر - وهو القرآن الكريم - لواء يلتف المسلمون جميعاً تحت رايته ، وهذا كله كفيل بتقوية أواصر الوحدة الروحية ، وبعث النهضة الإسلامية القوية الجديرة بالقيادة والتوجيه لخير الإنسانية موجهة نحو بناء مجتمع قوى الدعائم متكامل الروابط فى ظل الإخاء والسلام .

ولا يقلل من هذه الوحدة الإسلامية ما تقتضيه طبيعة التفكير واختلاف وجهات النظر فى الإستنباط والتدليل ، وما تمليه سنن الاجتماع من التسابق الذهنى فى الوصول إلى الحقائق العلمية . فهذا خلاف مرغوب يدل على الثروة الفكرية والعظمة الإسلامية التى حررت العقول وأرهقت الأفكار وشحذت الأذهان ولم تحبسها فى حيز محدود أو نطاق محصور .

واجتهاد المجتهدين أورث الأمة الإسلامية تراثا فكرياً خالداً أنتج العبقريات التشريعية من أئمة المذاهب الإسلامية الكبرى . وهذا التراث الفكرى يعتبر بحق موضع اعتزاز تفخر به الأمة الإسلامية لأنه يدل على رحابة الفكر وسعة الأفق ، وأن الأمة الإسلامية - وإن تعددت فيها المذاهب - أمة واحدة بحكم ما اتفقت عليه من المواضع التى ربطت بينها ولها مواضع تختلف فيها باختلاف العقول ، ووضوح الدلالات وتغير المصالح والأحوال ، والأمة بحكم ما اتفقت عليه أمة واحدة ، وبحكم ما اختلفت فيه مذاهب متعددة، والمذهبية لا تخرج عن اعتبارهم لبنات من بناء الأمة الإسلامية الواحدة مصداقاً لقول الله سبحانه وتعالى : وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون .

وبهذا يتضح أن الوحدة من ألزم الفرائض الواجبة على الأمة الإسلامية وأن المسلمين متحتم عليهم أن يعيشوا دائماً متضامنين ، وهم يد على من سواهم ، وأن كيانهم وبقاءهم متوقف على هذه الوحدة ، وعلى الأقل فى الأهداف والغايات إذا أجيز التعدد فى الوسائل بحسب ما تمليه مصالح الشعوب ، ومن أهم الأهداف أن تقف الأمة الإسلامية كلها صفاً واحداً أمام الأعداء وعلى الأمة الإسلامية أن توجد من الهيئات والمؤسسات ما يؤدى إلى تحقيق غايات الدفاع والحماية والتنسيق بين سياساتها . ويجب أن يكون واضحاً أن الدولة الإسلامية أعم وأشمل من الدولة السياسية ، لأن الدولة الإسلامية ذات وظائف مادية وروحية فى وقت واحد .

ثانياً : مشكلات العالم الإسلامى المعاصر :

وهكذا يمكن القول أن العالم الإسلامى كان يموج منذ أواخر القرن الثامن عشر بحركات دينية قوية جاءت كرد فعل لحركة الإستغراب Westernization فى الشرق الأدنى وكرد فعل لاعتداءات الدول الأوروبية على بعض أجزاء العالم الإسلامى ، وكانت بعض هذه الحركات الدينية تتخذ موقفاً سلبياً من الإستغراب وتنادى بالرجوع إلى الأصول الإسلامية الأولى .

وتنبع مشكلات العالم الإسلامى المعاصر من موقف هذا العالم من المذاهب والتيارات العالمية وتكتلها وأطماعها فى أقطار ذلك العالم ومحاولتها هدم الوحدة الإسلامية ومنع قيامها مرة أخرى ، فالمشكلة فى واقع الأمر هى مشكلة حضارية يعيشها العالم الإسلامى وسط المذاهب والتكتلات الدولية ، إذ أن أقطار العالم الإسلامى متخلفة عن الدول الأوروبية والأمريكية ، باعتبار الأقطار الإسلامية خضعت سنوات طويلة لعهود من السيطرة الأجنبية والاستغلال الأوروبى والعزلة المفروضة على نشاطها وحياتها فى مختلف الميادين .

إن مجتمعنا الإسلامى حالياً يعانى من المشكلات ما لم يعانه فى عصر من العصور الماضية ، وذلك راجع إلى عدة عوامل نذكر أهمها على النحو التالى :

١ - اصطدام المجتمعات الإسلامية بالحضارة الغربية ونظمها وفلسفتها وأخلاقها التى تختلف فى جوهرها عما ساد المجتمع الإسلامى من نظم وفلسفات وعادات .

٢ - تفكك المجتمع الإسلامى سياسياً واقتصادياً واجتماعيا تفككاً بصورة كبيرة نتج عنه شعور أبنائه بالحالة المتخلفة التى يعيشون فيها ، ورغبتهم فى التخلص من هذا التخلف والسير فى ركب الحضارة التى تسود العالم اليوم ، وكان من الطبيعى أن يشعر المتعلمون وحملة الفكر فى هذا المجتمع الإسلامى بوطأ هذا التخلف والحاجة إلى سلوك الوسائل المجدية للخلاص منه ، والتمسك بالوثائق والغلب اللذين هما عمادان قويان وركنان شديدان من أركان الديانة الإسلامية .

وفى واقع الأمر انقسم مفكرو العالم الإسلامى فى معالجة مشكلات عالمهم إلى ثلاث فئات هى :

أولاً : فئة لا تؤمن بصلاح ما فى يد الأمة الإسلامية من تراث وعقيدة لحل هذه المشكلات ، فاتجهت إلى الحضارة الغربية تنشد عندها الحل ، وقد أسرفت هذه الفئة فى هذا الاتجاه بحيث تخلت عن تفكيرها المستقل وعن شخصيتها المستقلة ، واستحسنت كل ما رأته فى الحضارة الغربية دون أن تدرك هذه الفئة الفوارق بين مجتمعنا الإسلامى والمجتمعات الغربية وأن ما يصلح لها ربما لا يصلح لنا .

ثانياً : وفئة تؤمن بأن فى الإسلام حل هذه المشكلات إيماناً غيبياً ولكنها لا تعرف كيف يحلها ، وتظن أن من الممكن تطبيق الإسلام بنفس الأشكال التى طبقت فى عصر الخلفاء الراشدين تماماً . وهؤلاء هم أكثر فقهاء الشريعة وعلمائها وهم بعيدون كل البعد عن تفهم مشكلات المجتمع الإسلامى المعاصر ، ويقفون منها دائماً موقفاً سلبياً . بل أظهروا الإسلام أمام خصومه بمظهر العاجز عن حل مشكلات المسلمين .

وقامت المعركة بين هؤلاء الفقهاء وبين أعضاء الفئة الأولى - وهم المتعلمون فى الغرب والمتأثرون بالثقافة الغربية - وكان سلاح هؤلاء الفقهاء ضد الفئة الأولى هو الاتهام بالكفر والإلحاد ، بينما رد عليهم أعضاء الفئة الأولى بأن هؤلاء الفقهاء رجعيون جامدون ، وكأن الجمهور الإسلامى بمجموعة وبطبيعة إيمانه واقتناعه بدينه مستعداً أن يصغى إلى هؤلاء الفقهاء أكثر ، فأيدهم وسار وراءهم .

ولم يفعل أعضاء الفئة الثانية شيئاً من أجل اصلاح اجتماعى شامل ، وكانت النتيجة ازدياد وطأة الحضارة الغربية على العالم الإسلامى ، وازداد اتصال المسلمين بها

خاصة منذ الحرب العالمية الأولى ، وانتشرت المعرفة واتسع نطاق العلم الذى كان متسماً بطابع التفكير الغربى فى مدارسنا ومعاهدنا العليا ، وبدأ الجمهور الإسلامى يفقد ثقته بهؤلاء الفقهاء الذين عجزوا عن حل مشكلاته من حيث لم يثق أبداً برواد الثقافة الغربية المتسمة بطابع العداء للإسلام بصفة خاصة وللأديان بصفة عامة .

ثالثاً : وكانت الفئة الثالثة من المفكرين الإسلاميين تتخذ موقفاً وسطاً بين الفئتين السابقتين وتنادى بأن الإسلام يحل كل مشكلات المسلمين الاجتماعية ، فهى فى هذا تلتقى مع أولئك الفقهاء لكنها تختلف معهم فى فهم هذه المشكلات وتصورها وطبيعة حلها ، وتختلف معهم فى طريقة فهم الإسلام وتمثل مقاصده العامة ، ويختلفون مع الفئة الأولى من رواد الثقافة الغربية بموقفهم من عقيدة الأمة وتراثها وبموقفهم من الحضارة الغربية وإيمانهم استقامة مبادئها ومذاهبها .

وهذه الفئة الثالثة تفهم مبادئ الإسلام على أنها هى المبادىء الثلاثة الآتية :

١ – تحقيق مصالح الناس فى كل ما يحتاجون إليه ، ولا تضيق الشريعة الإسلامية بمصلحة المجتمع ، ويقر العقلاء ، والدارسون الشرعيون والاجتماعيون بأنها مصلحة .

٢ – تحقيق العدالة بين الناس إذا تعرضت مصالحهم مهما تكلفت العدالة من غرم لبعض الناس .

٣ – تحقيق التطور الاجتماعى الصالح فى المجتمع الإنسانى ، فلا يقف الإسلام فى وجه تطور ما فى مختلف نواحى الحياة الاجتماعية ، إذا كان هذا التطور نتيجة محتمة لتطور الفكر أو العلم أو ضرورات الحياة .

كما أن لهذه الفئة الثالثة من المفكرين الإسلاميين موقف من مشكلات المجتمع الإسلامى يقوم على ضرورة دراسة هذه المشكلات دراسة عميقة وعريضة ، والاختلاط بالمجتمع اختلاطاً شاملاً لكل فئاته حتى تتحدد المشكلة وتعرف أسبابها ويعرف الطريق الصحيح لحلها حلاً عملياً متفقاً مع رسالة الإسلام .

هذا إلى جانب استعراض للنقاط الآتية :

١ - موقف المسلمين من الأيديولوجيات المعاصرة .

★ نظرة المسلمين للشيوعية .

★ نظرة المسلمين للرأسمالية .

★ موقف المسلمين من الصهيونية .

٢ - مواجهة المسلمين للمشكلات المعاصرة :

(أ) منظمة المؤتمر الإسلامي : ويحتوى هذا الموضوع على ما يلى :

١ - عوامل ظهور المنظمة .

٢ - مؤتمرات المنظمة ومشكلات العالم الإسلامى .

٣ - تشكيلات المنظمة .

(ب) رابطة العالم الإسلامى : ويحتوى هذا الموضوع على ما يلى :

١ - نشأتها وأهدافها .

٢ - وسائلها .

٣ - نشاطها .

(جـ) رابطة الجامعات الإسلامية ويحتوى على :

١ - نشأتها وأهدافها .

٢ - وسائلها .

٣ - نشاطها .

(د) منظمات أخرى وتشمل :

١ - رابطة الأدب الإسلامى العالمية .

٢ - الاتحاد العالمى الإسلامى للدعوة والإعلام .

رابعاً : موقف النظام العالمى الجديد من السلام فى الشرق الأوسط . ويتضمن هذا البحث النقاط الآتية :

١ - نشأة النظام العالمى الجديد .

٢ - قضية الصراع العربى الإسرائيلى (القضية الفلسطينية) .

★ الدعاوى الصهيونية . ★ مشروع التقسيم .

★ التأييد الأمريكى لإسرائيل . ★ الموقف الأمريكى الأخير .

★ الحروب العربية الإسرائيلية .

٣ - قضية السلام فى الشرق الأوسط .

٤ - دور الجامعات الإسلامية .

obeikandi.com

خامساً : تأثير البث المباشر على قيم المجتمع الإسلامى فى القرن المقبل كتحدى حضارى للعالم الإسلامى . ويتضمن هذا البحث النقاط الآتية :

مقدمة :

ثورة الاتصالات جعلت من العالم قرية صغيرة بل حجرة صغيرة ، فالقمر الصناعى الواحد يستطيع تغطية ثلث مساحة الكرة الأرضية بما يؤكد أن السيطرة فى هذا العالم تتحقق شيئاً فشيئاً للإعلام وأن الذى يستطيع السيطرة على وسيلة إعلام مؤثرة فإنه يشارك عندئذ فى الحكم عالمياً ومحلياً على قدر تأثير وسيلته وقوة نفوذها .

الكاميرات الخفيفة المحمولة - وأجهزة الاتصال الالكترونية تيسر نقل الأحداث أماكنها تيسر إلى ملايين المشاهدين فى كل أنحاء العالم عن طريق الأقمار الصناعية خلال ساعتين على الأقل . وإذا كانت الأقمار تحول الكرة الأرضية إلى قريح بل إلى حجرة فإن السؤال الذى يفرض نفسه . من الذى يسيطر على هذه القرية ؟؟ .

ينبغى ألا يغيب عنا دور القوى الكبرى ذات المصالح الاستراتيجية فى العالم إذ تعتبر أن مصالحها الحيوية تتجاوز حدودها الوظيفية إلى أرضية العالم كله وكأن هذه الأرضية الممتدة الوطنية فوق بقعة العالم الثالث بأكمله رقعة شطرنج للعبة القوة الدولية وكان من وسائلها وهى تتنافس القوى فى هذه اللعبة مواجهة بعضها البعض بعمليات إشعال الحروب الأهلية داخل دول العالم الثالث أو النزاعات المسلحة على الحدود بين دولة وأخرى أو عمليات إنقلابات واغتيالات سياسية وغيرها مما سمى بأدوات اللعبة القذرة للسياسة الخارجية وكان ذلك كله أساساً من أجل كسب مناطق نفوذ أو إزاحة الطرف المنافس من مناطق نفوذه .

أما وقد إنتقل العالم إلى نظام عالمى مختلف يتصدر الكسب الاقتصادى ميادين التنافس فيه وتصبح فيه مكانة الدول على قمة النظام العالمى الجديد رهناً بقدراتها التنافسية مع الآخرين فى هذا المجال على وجه التحديد فإنه مازال يهم قوى ومصالح دولية مؤثرة فى العالم أن تسعى لإضعاف أية قوة إقليمية على الوصول إلى نسق النظام الدولى الذى أصبح يسمح لعدد من القوى الإقليمية (مثل مصر فى إفريقيا ، والهند وباكستان فى آسيا ، والبرازيل والأرجنتين فى أمريكا اللاتينية) بأن يكون لها دور مؤثر فى ساحة قمة هذا النظام الجديد (تحت التأسيس) ويصبح هدف إضعاف هذه القوى الإقليمية جزءاً

من لعبة القوة الدولية الجديدة ، وذلك عن طريق تفتيت هذه القوة الإقليمية من الداخل وإضعاف مفهوم الولاء الجماعي الذى هو أساس قوة ووجود الدولة الوطنية .

ولا شك أن التنافس الضخم لعالم البث بوسائله النافذة من الدش والكيبل والساتلايت إلى جانب الفاكس والذى يستند إلى شبكات هائلة متكاثرة العدد ، عندما يفعل ذلك كأنه يعمل على خلق نوعية جديدة من المجتمع غارق فى المخدرات الإعلامية التى تقتل أوقات الناس وتحرق أعمارهم فيما لا يفيدهم ولا يساعدهم فى حل مشاكلهم على إختلافها إذن نقول هنا على الحضارة السلام ولكن تقول أيضاً إن التكنولوجيا الحديثة بأنواعها المختلفة إما تعمم الخير أو الخراب والدمار .

القيم الإسلامية والبث المباشر :

يدخر الإسلام بمجموعة لا تحصى من القيم الرفيعة التى منحها الله هذه الأمة وكلفها بالتمسك بها وإذاعتها والدعوة إليها فما من ناحية من نواحى الحياة ولا طرف من أطرافها إلا له نصيب من هذه القيم حتى ليستطيع المرء من غير أن يجانبه الصواب أن يقول بأن هذه القيم تستغرق الحياة بما فيها من قول وعمل وفكر وسلوك وعقيدة وعبادة وسلم وحرب وفقر وغنى . فما هو نصيب هذه القيم وما حظها من البرامج والأفلام التى تبث من خلال الأقمار الصناعية ، أم أن ما يحدث فى الواقع مغاير تماماً لهذه القيم الرائعة ؟ .

إن المتتبع للبرامج والأفلام المتعددة المبثوثة من إسرائيل وغيرها من البلاد التى تعمل على هدم القيم يلاحظ تماماً معاول الهدم التى تتوجه إلى القيم الإسلامية لتقيم على أنقاضها قيماً غربية تفترس الخُلق والدين وتعبث بلبنات تلك الحضارة الشامخة التى أقامها الإسلام على مدى أربعة عشر قرناً وأرى قواعدها شرقاً وغرباً فباتت ولها جذور عميقة الغور فى تلك النفوس التى ما قدمت منذ وقف بلال مؤذناً بالنداء الخالد : « الله أكبر » تستمع إليه صباح مساء ، موقنة بأنه لا قيمة لحياتها ولا لوجودها ، بل لا معنى لدبيبها فوق الأرض أن لم تكن مسلحة عابدة تعتز بإنتمائها لأشرف الدعوات وبإنتسابها لخير الأمم .

فهل باستطاعة المؤسسات الإعلامية فى العالم الإسلامى أن تنهض حقيقة بالدور الذى يفرضه عليها الإسلام ؟ وهى على ما هى عليه من الواقع الذى ما يزال بعيداً جداً عن قيم الإسلام وعقائده وتصوراته ؟؟ .

البث المباشر وتحديد القيم :

لقد غدا البث المباشر محدداً للقيم التى ينبغى علينا الإيمان بها والحرص عليها ولو كانت هذه القيم أخسّن ما سجله تاريخ البشرية من الصفات المرذولة الممقوته التى كانت تطارد فيما حلت لأنها سبه فى جبين الإنسان الذى كرمه الله وعلىً منزلة بين الخلائق ومع ذلك فإن البرامج تقدم على أنها المثل المؤدية للنجاح والسعادة والثراء ، فالنفاق حل مكان الكياسة والفطنة والغدر أضحى أولى من منزلة الوفاء والوقاية أقيمت على أنقاض الشجاعة والحيلة والمخادعة صارت أجدى من العمل والمجالدة بل كل شئ حسن برز نقيض بعد أن ألبسوه ثوباً براقاً يشد إليه الأنظار ليكون الغاية التى يحيا الإنسان لتحقيقها .

أن العديد من الأفلام والبرامج تتنافى وقيمنا الإسلامية بل تتنافى وأهدافها وتأثير هذه الأفلام على سلوك الأطفال مدمرة لأنها مثيرة للعنف فكيف نقبلها نحن وكيف نمكن الأطفال لمشاهدتها حتى تنفذ إلى عقول الصغار والكبار معاً ! ثم كيف نقبلها نحن والعنف فى ثقافتنا غير العنف لديهم ؟ العنف لديهم مرتبط بفلسفتهم المادية والعنف لدينا يحدد الإسلام أشكاله ومفهومه ففى الإسلام : السلام ، المودة ، الرحمة ، ومساعدة الضعيف والمحتاج ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر . فأين هذا كله من أفلام المصارعة والقذف بعبارات واضحة أو بطريقة خفية ؟ .

وناهيك عن الإعلان فهو يقوم على استخدام المرأة وإستغلالها والهبوط بها إلى مرتبة دنيا فى عالم المخلوقات ، ولم تسلم أن تلصق صورتها على عبوا أصبغة الأحذية وتوضع فى سلال النقابات فأى إستهتار وخزى للمرأة يفوق هذا الخزى والإستهتار ؟ وهى التى كرمها الله .

الحد من تأثير البث المباشر :

هل يمكن فى ضوء ما ذكرته أن تكون هناك رؤية عربية مشتركة للتعامل مع البث الوافد والمباشر متمشية مع قيمنا الإسلامية ؟؟ .

إننى أرى أن الأمة العربية تمتلك من الإمكانات الإعلامية والتكنولوجية ما يمكنها من التعامل مع هذه الظاهرة مثال : القمر الصناعى العربى القناة غزيرة الإشعاع ، شبكات الميكروويف ، خطوط الإتصال الأرضية المحمولة وغيرها .. وهى كلها إمكانات لو أمكن

تحقيق الإستغلال الأمثل لها لأمكننا تحقيق مبدأ تحدى البث المباشر . وذلك برسم خريطة علمية وبالطبع أول عمل تقوم به فى وضع الخريطة هى البدء بالتخطيط وهذا التخطيط يقوم على النظر إلى المجتمع الإسلامى على أنه وحدة بشرية واحدة ووحدة جغرافية واحدة فالله سبحانه وتعالى هو الذى خلق الأرض كوحدة وليست مقسمة إلى أجزاء ثم « قضى النظام أو إن شئت عدم النظام السياسى لعالمنا أن يقسم سطح الأرض كله أو على الأقل ذلك الجزء من سطح الأرض الذى لم تغمره البحار والمحيطات وتركته جافاً يابساً طافياً فوق سطح الماء استولى الإنسان على هذا اليابس وقسمه إلى وحدات سياسية بحيث لم يترك شبراً واحداً إلا أدخله فى واحدة منها ، وهذا التطور السياسى جعل العالم الإنسانى مقسماً إلى وحدات تختلف فى الحجم وعدد السكان وفى مواردهم الاقتصادية وفى حظهم من الرافهية والرخاء والتعليم وقد ترتب على ما نشاهده من الاختلاف الكبير بين الدول أن أصبح بعضها يدعى الدول الكبرى .

وتتوقف كبر الدولة أو صغرها على المساحة وعدد السكان ودرجة الثقافة والتعليم وغيرها ... وإذا طبقنا هذه القواعد على مجتمعنا الإسلامى نجد سعة المساحة وكثرة عدد السكان وتعليم وثقافة فى أماكن واضمحلالها فى أماكن أخرى .

أقصد من هذا أن الإعلام ووسائل الإتصال بالجماهير لكى تنجح فى مهمتها وهى التحدى لما يبث من برامج وأفلام وغيرها لابد وأن ينظر العاملون فى هذه الوسائل إلى المجتمع الإسلامى على أنه وحدة جغرافية وسياسية وعقائدية وثقافية واحدة .

وذلك عن طريقة أن تقوم هيئة تمثل جميع سكان المجتمع الإسلامى لتتولى مهمة الإشراف على أجهزة الإتصال بالجماهير والعمل فيها فمصالح الجماهير الإسلامية واحدة وآلامهم واحدة والذى يصيب بلد إسلامى يؤثر فى الأجزاء الأخرى من البلدان الإسلامية ومن أجل ذلك يحتاج المجتمع الإسلامى إلى أفراد إتصفوا بالجرأة يجتمعون معاً وينشدون مؤسسة إعلامية كبيرة تواكب هذه الأقمار الصناعية الوافدة . والغريب أن أبناء الخليج ودول البترول وجميع مسلمون لم يفكر أحد منهم على إنشاء مثل هذا المشروع المفيد مادياً ومعنوياً فى الدنيا وفى الحياة الباقية ولم ينتبهوا إلى خطورة هذا الإستعمار الجديد . واعتقدوا أن الإستثمار أنما يكون بالجيوش والمعدات الحربية ونسوا أن هذا الإستعمار

الأخير أهون أنواع الإستعمار فهو لم يستطيع البقاء فى أى جزء من المجتمع الإسلامى لأن إستعمر الأرض وسلب القوات . أما الإستعمار الجديد فهو أخطر وأشد تنكيلاً لأنه يستعمر العقول والنفوس ويقضى على الأخلاق ويسلب الأمانة ويستعمر . دون أن يراه أحد أو يمسك به سلام .

وأى عمل يحتاج إلى عنصر بشرى يقوم بتنفيذه وقبل أن نعد الإنسان يجب أعداد الأماكن التى سوف يتلقى فيها العلم ويتم فيها التدريب وهذه الأماكن العلمية تحتاج بدورها إلى أعداد مسبق لتستطيع تأدية ما يطلب منها والواقع أن المجتمع الإسلامى يملك عدة معاهد تقوم بإعداد رجال الإعلام والدعوة ففى مصر مثلاً جامعة الأزهر وكليات الإعلام وأقسامها التى تنتشر الأن فى ربوعها .

إذن لابد من مؤسسات علمية وعملية لإعدادهم وليس من المنطق أن ننشئ معاهد وكليات جديدة بل أرى أن نكتفى بتدعيم القائم منها وتطويرها حتى تتلاءم مع هذا العمل الجليل .

١ - ومن هنا نجد أنه لابد من تقوية البث القومى ببرامج يمكنها استقطاب المشاهدين واحتوائها والعمل على تدعيم تبادل البرامج بين الدول الإسلامية مع ضرورة تكامل الخبرات والامكانيات وبث برامج خاصة للأطفال تربى فيهم المبادئ القومية وتطلعهم على التاريخ المشترك لأمتهم وتغرس فيهم القيم والتقاليد الإسلامية .

٢ - إعداد برامج خاصة للشباب والرياضة بهدف تدعيم الروابط بين الشباب بإعتبارهم نصف الحاضر وكل المستقبل .

٣ - الأمر الذى ينبغى أن يوضع بين أعين المؤسسات الإعلامية فى بلادنا أن طلبية الغرب وشيوعية الكتلة الشرقية على اختلاف المفاهيم بينهما تعملان معاً على أن تلهو الأمة الإسلامية ويطول بها اللهو فتنسى نفسها ودينها وتاريخها ومجدها وتعبث مع العابثين .

فهل لنا أن نكون على حذر فلا نعبث ولا نلهو ، وإنما يكون الترويح كما أمر الله وأن ترفرف راية الإسلام على البرامج كلها ثقافية أو ترويحية كلها مستمدة من الدين الحنيف الذى إرتضاه الله سبحانه لعباده .

obeikandl.com

ونأمل ألا تلجأ الوسائل الإعلامية إلى تقليد الغير ، السير فى ركاب الضالين ولكن ينبغى أن يكون إتصالها على بصيرة ووعى إتصال مبعثه إيمانها بدينها وإصرارها على الاحتفاظ بالطابع الإسلامى .

وتقوم كذلك بتصحيح القيم والدعوة إلى دين الله فى الداخل والخارج والنهوض بالمسلم فكرياً ومعنوياً والخروج به من هذا الخضم المتلاطم من الأفكار الزائفة والفلسفات المتباينة من حوله إلى نور الحق وإلى صراط مستقيم ديناً قيماً . فلا إفراط ولا تفريط ولكن سيراً على طريق الحق .

فعلى المؤسسات الإعلامية أن تعيد للثقافة مكانتها المرموقة وأن تتخير الوقت المناسب لها وأن تقدر رجال العلم فإن الخدمة الثقافية اليوم فى الدول النامية تكاد تكون مختلفة إذا ما قورنت باللهو ووسائل الترويح وهذا يؤدى إلى إختلال التوازن وفساد الأذواق إلى إيجاد جيل يلهو كثيراً ولا يعرف الجد إلا قليلاً واختلال التوازن هذا تسعى الدول الكبرى إلى تدعيمه حتى تظل الأمم فى عفتها ضعيفة لاهية ويكون لها الغلبة والكبرياء فى الأرض والسيطرة عليها ثقافياً وعلمياً ومادياً .

فوكالات الأنباء العالمية التى تمد العالم الإسلامى وغيره بالأنباء تملكها الدول الكبرى وكذلك الأقمار الصناعية التى تعد فتحاً كبيراً فى مجال المؤسسات الإعلامية لما لها من القدرة على نشر الأخبار وربط العالم بعضه ببعض برباط واحد وهذا يدعونا إلى التأمل والحذر وأن نفكر طويلاً فى كيفية بناء مؤسساتنا الإعلامية وسط الضباب الغريب من حولنا الذى ملأ علينا الأجواء بأفكار غير مرغوب فيها وأن نرجع إلى تاريخنا وننظر إلى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين وأن ننظر كيف نبنى هذه المؤسسات ؟ وعلى أى أساس بنيت ؟ أمن الإيمان أم من التقليد للغير ؟ وكيف نبنى العاملين فيها فكرياً وعلمياً وخلقياً ؟ .

ذلك حتى يكون البناء مشيداً عالياً ، يرتفع بالحق وقد أقيم على الحق والهدى والنور ، ينشر الحق فى ربوع الأرض ، أساسه التقوى والقول الصادق والعمل الصالح ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا قولاً وعملاً .

وأخيراً نتسائل ما هو مستقبل العالم الإسلامى فى ظل هذا الغزو الثقافى ! غنى عن البيان أن المستقبل مرهون بمعرفة ماذا نأخذ وماذا نترك ولكن الكثيرون فى العالم

الإسلامي أصبحوا مستغربين بحجة الحضارة والتنوير القلة القليلة المتمسكة بتقاليدها الإسلامية تتهم بأنها متخلفة فلن يكون للعالم الإسلامي مستقبل إلا إذا احتفظ بقيمة وبملامحه الأساسية التي تقوم على القرآن الكريم والسنة .

علماء المسلمون الأوائل كانوا لا يكتفون بالصلاة في المساجد والقيام في البيوت وقراءة القرآن بل بعد ذلك كانوا يصلون صلاة من نوع آخر في المعامل والمصانع وقد اعترفت أوروبا بفضل العلماء المسلمين فحتى اليوم لا يزال تمثال ابن سينا وتمثال ابن رشد على أبواب جامعة السربون وقد تقدم المسلمون في الطب والجغرافيا والفلك والهندسة وغيرها ولهم إسهامات لا يزال العالم يستفيد منها حتى الأن فهؤلاء كانوا يتعاملون على القرآن بوجه عمله واحدة أما نحن الآن فبدأنا نقلد الغرب ، وتركنا منهج القرآن ، فمثلاً معظم الكتب التي تباع الآن تتحدث عن العلاج بالقرآن وعن السحر والجان وهذا جزء من الغزو الثقافي فهذه الكتب ورائها أيد خفية لخلق البلبلة والاضطراب في العالم الإسلامي وإبعاد المسلمين عن جوهر الدين .

سادساً : استشرافات المستقبل للتحديات الحضارية المحدقة بالأمة الإسلامية :

يتضمن هذا البحث النقاط الآتية :

مقدمة :

تواجه الأمة الإسلامية سيلاً منهمراً من التحديات العاتية والتهديدات السافرة ، وهي محدقة بها من كل جانب .. مستهدفة كيانها وعقيدتها ورجالها ذلك أن أعداء هذه الأمة يرون فيها بمنظار الحقيقة التي لا نراها نحن للأسف .. قوة وغلبة .. وعزة ومنعه .. إن هي أخذت بالأسباب وتجمعت عناصرها .. حتى ذهب كبراؤهم إلى إعتبار الإسلام وهو عصب هذه الأمة خطراً عليهم ، فقد كتب ريتشارد نيكسون في كتابه «الفرصة السانحة» يقول : « لقد قضينا على خطر الشيوعية ولم يبق أمامنا إلا خطر الإسلام » .

هذا هو الموقف المعاصر .. وفي ورقتنا هذه نحاول في تبسيط غير مخل أو مقل أن نوضح عناصر التحديات وإبراز نقاط يستشرف فيها المستقبل .. والله من وراء القصد .

اولاً: توطئة فى ماهية استشراف المستقبل :

أصبح استشراف المستقبل فى العلوم الاجتماعية أمراً بالغ الأهمية ، بل أن أدبيات هذه العلوم أرتبطت بالمصطلح إرتباطاً تلازمياً ، وذلك ليس بمستغرب ، وبخاصة إذ إستقر فى الأذهان أنه لا علاقة له بالرجم أو التكهن ، فهو إجتهاد علمى منظم يرمى إلى صياغة مجموعة من التنبؤات المشروطة التى تشمل المعالم الرئيسية لمجتمع ما أو مجموعة من المجتمعات عبر فترة زمنية لا تزيد عن عشرين عاماً ، وهو نفس الوقت مناقشة بدائل مصير مجتمع ما بإعتباره نسقاً متكاملاً معتمداً فى ذلك على الأساليب العلمية فى إطار إدراك وفهم وتحليل الماضى ومروراً بالحاضر والتعرف عليه بدقة وأناه وإدخال كل المتغيرات المحيطة والعوامل المؤثرة فى الحسبان .

ولا شك أن استشراف المستقبل يعد من الأمور بالغة الأهمية والأثر لدول العالم الثالث ، ذلك أن هذه الدول مرتبطة بالدرجة الأولى ، بل ومرتبط مصيرها بعمليات التنمية الشاملة التى تستغرق زمناً أطول من ذلك المدى الطويل أيضاً والمتعارف عليه فى التخطيط الاقتصادى .

والاستشراف أيضاً ، مرتبط بالحاضر ، ويستدعى هذا الارتباط أن تكون هناك تصورات أو مشاهد عن إحتمالات هذا المستقبل بصوره وأشكاله ، وحتى لا تخرج أى إجتهادات بحثية كمجرد توصيات نظرية أقرب للتسطح أو أنأى عن الواقعية . وإحكاماً لواقعية هذا الاستشراف المستقبلى فأنه يجب أن يكون عاملاً وسط المتغيرات الدولية المتلاحقة ، وذلك أن أبعاد البيئة الدولية تشكل عناصر أساسية بالنسبة لأبعاد المستقبل .

وبصفة عامة يمكن القول أن المستقبل ليس منبت الصلة بالحاضر ، بل أنه يصنع من إمتداد وتجسيد وتكبير لأمور ومسائل تقع اليوم ، أو يكون محكوماً برغبة تطويعه لمقتضيات جديدة أو ردة فعل حادة لنقل الناس من طور إلى طور جديد ، من حياة المجتمع. وقد يكون مزيجاً بين ذلك كله مع تفاوت قوة الظهور .

ومن ناحية أخرى فإنه بات من غير المقصود أن يعزل قوم مجتمعهم عن العالم ،

(★) مقرر لجنة التحديات الحضارية

وبخاصة وسط الأزدياد والنمو المضطرد لعوامل ووسائل الاتصال ، والتداخل فى إطار نظام عالمى يوجهه ويجنى ثماره أقل من خمس سكان الأرض ، وذلك يعنى أن أى جماعة لا تحرص على صياغة مستقبلها لن تترك وشأنها ، وإنما سيفرض عليها المستقبل الذى تريده لها القوى المسيطرة .

وتأسيساً على ما سقناه فإن المسلمين فى بقاع الأرض ، وهم المحاصرون بتحديات لا أول لها ولا آخر مطالبون بكل ما فى العلم من مدركات ومعارف أن يستشرفوا مستقبلهم وأن يتعرفوا على الخطى والدروب ، لا نقول لتحاشى هذه التحديات بل لتحديد موضعهم على خريطة العالم بصورة فاعلة ومؤثرة .

إن مجتمعنا الإسلامى رغم وجود رواسخ وثوابت ثقافية تضرب بجذورها فى عمق التاريخ ، وتحدد أبعاداً حضارية متميزة ، إلا أن هذا المجتمع بحكم السيطرة الإستعمارية واستخدام أدواتها المتعددة أصبح لديه القابلية للإختراق الثقافى ، ولعل نماذج التعليم المتاحة حالياً فى معظم هذه الدول تؤكد ذلك ، فمعظمها غريبة الشكل والمضمون ، وإن عدلت فإن التعديل يأتى مشوهاً ومبتوراً حتى أنه يقال فى هذه الحالة ليتها تركت وشأنها لكان أفضل .. وتلك مسائل لا تحتاج لتأكيد ولا يقوم فيها الغرب بجهد مضن ، بل تحتاج منه لجهود قليلة ، ونحن نتولى بقية الجهد أو معظمه ، وليس من سبيل المبالغة القول بأن دولاً كثيرة تزهو عندما تعتقد أن واجهتها طليت بفرشاة التغريب فتبهر بنفسها .. وتبعد عن أصولها وهى فى الواقع تائهة بين تيه الغرب .. وأصول الشرق ، ومما يضاعف من تلك التحديات أن محصلة الفكر لدى الدول الإسلامية أصيبت بحالة لا أقول من التخلف ، بل من الوهن والشيخوخة رغم أن لديهم أعظم وأسمى مصادر الفكر حيث سمو ورفعة فكر وحضارة الإسلام ، ودون الولوج إلى تفاصيل كثيرة فإن المحصلة أن هناك تدهوراً وتخلفاً فى مستويات الثقافة والتعليم وتباين فكرى تام بين ما هو حادث فى دول الغرب وما هو قائم لدى دول المسلمين ، فلو ضربنا مثلاً بقطاع هام كالتعليم ، نجده يمثل لدى الدول الإسلامية خدمة تتكفل الحكومات بالإضطلاع بها ، بينما تنظر الولايات المتحدة الأمريكية إليه باعتباره استثماراً ، وتعليمه فرنسا على الدفاع فى ميزانيتها . ويرتبط بهذا الخلل الفكرى والتخطيطى ، خلل آخر يسود منظومة القيم الإسلامية وذلك نتيجة فقدان الإرتباط بالثوابت الإسلامية ومصادرها الشرعية والفكرية ، ففقدت قيمة الصدق ، وإتقان العمل ، والعلم لله ولخدمة الأمة ، كما انتشرت الثقافة الهابطة ، إذا جاز التعبير وعم الفساد

الخلقى ، وسادت قيم الأنانية والرشوة والغش ، واستئجار الضمائر والعقول بل وبيعهما فى سوق النخاسة الإنسانية .

ومما يضاعف من أثر ما أصاب المنظومة الفكرية الإسلامية ذلك الاختراق الثقافى والفكرى ، الذى يمثل غزواً وافداً عبر البرامج والمضامين التى تبثها الدول صاحبة الأقمار الصناعية ، وهى تلك التى تتمثل فى :

١ - محاولة اختراق العقيدة الإسلامية ، وفصلها عن الحياة :

حيث يرى معظم الغربيون أن تمسك الشعوب النامية بالدين هو السبب وراء تأخرهم، وما هم فيه من تخلف وفقر ، ولا يمل هؤلاء من تذكير العرب والمسلمين بمقارنة حال أوربا فى العصور الوسطى وما سادها من تخلف نتيجة سيطرة الكنيسة ورجال الدين ، وحالها بعد إنطلاقها فى عصر النهضة وتخليها عن الكنيسة غير عابئة برجال الدين ، وبذلك فهم يحاولون إقناع المسلمين بأن الدين وراء تخلفهم ، فضلاً عن أنهم يحاربون العرب والمسلمين وإدخال الضعف فى روحهم وزعزعتهم عن عقيدتهم التى ترفض الكفر والإلحاد والإستعمار والذل والهوان . وتعمل القوى المعادية فى هذا الإطار العدائى مستخدمة وسائل متعددة تقليدية وحديثة ، من بينها استخدام قنوات تليفزيونية تنصيرية تهدف بالأساس إلى دحض العقيدة الإسلامية ، وشن حملة شعواء على الإسلام ودعوة المسلمين إلى التعرف على المسيحية لعل البعض يدخل فيها . ويواكب ذلك تشويه حقيقة الدين الإسلامى مع تمجيد القيم الغربية المادية والدعوة للتحديث والبعد عن قيم الماضى ، بل وصل الأمر للنيل من شخصيات إسلامية بارزة ولها جلالها ووقارها . بل لقد حاول البعض أن ينال من رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم .

ولقد لعب الغزو الثقافى سواء المباشر أو غير المباشر دوراً لا يستهان به فى محاولة لنقل زمام المبادرة الإعلامية والثقافية من بعض دول العالم الإسلامى والتى كانت تعد منارات إشعاعية إلى مناطق أخرى خارجة عن إطار العالم الإسلامى .. وذلك ليعلى من شأن نفسه والآخرين ، وليحيل المنارات الإسلامية إلى مناطق خافتة . ولقد إرتكز هذا الغزو على عديد من وسائل الإتصال سواء بالبث المباشر أو بتبسيط الحوار بين الأديان بغية

دعم التفاهم المسيحي اليهودي ، وكذلك بتذويب العداء العربي اليهودي ، وغني عن البيان والتفصيل أن الولايات المتحدة الأمريكية تضطلع بدور كبير في هذا المجال .

٢ - النظام العالمي الجديد وزيادة العداء للإسلام :

مع موجة التغيرات التي يشهدها العالم حالياً ، ومع إنتهاء الحرب الباردة بين القوتين العظميين ، هبط العداء الغربي تجاه الشيوعية إلى درجات أدنى واحتل مكانة عداء الغرب للإسلام وذكر المعاديين للإسلام بأن هذا هو العداء الحقيقي والمنطقي بينما كان العداء للشيوعية يمثل مرحلة استثنائية ، وبات الإسلام والمسلمون مستهدفون ، فأصحاب سفينة التغيير وربانها ينظرون للأمة الإسلامية بإسلامها ومسلميها نظرات دون المستوى الإنساني ، تحمل في طياتها عداء وكراهية ، فهم يرون في الإسلام عقبة أمام التوسع والاستقرار .. وفي ذلك يقول لورانس براون : « لقد كنا نخوف من قبل بالخطر اليهودي ، والخطر الأصفر ، وبالخطر البلشفي ، إلا أن هذا التخويف كله لم نجده كما تخيلناه .. الخطر الحقيقي كامن في نظام الرسلام وقدرته على التوسع والإخضاع » .

كما أنهم يرون أن المسلمين يحملون رايات الجهاد في أي وقت وببسالة وإن غشاهم ما غشي في فترة من الفترات إلا أن تاريخهم يؤكد أنهم أشداء على أعدائهم ، وبالإضافة إلى ذلك فإن هناك ثمة إجماع لدى الغرب على أن الإسلام يمثل تهديداً للحضارة الغربية ، وهذا الفكر أو الصورة السلبية عن الإسلام تسود أكثر من غيرها ، وهي صورة لا تمثل حقيقة الإسلام وإنما تمثل ما تعتقده القطاعات المسيطرة في تلك المجتمعات . كما أن القوى المعادية للإسلام ترى أن هذا الدين دين إرهاب وحرب وليس دين سلام .

وليت الأمر قاصر هلى هذا الفكر أو تلك الرؤى التي يمكن أن يقال أنها أفكار فردية أو رؤى متفرقة ، ولكنه فكر مخطط ومجمع .. ولقد تأكد ذلك في تقرير للجنة التخطيط الإستراتيجي المتكامل بالولايات المتحدة الأمريكية ، صدر عام ١٩٨٨م ، والذي انتهى إلى ضرورة وضع تصور جديد لمصادر تهديد الأمن الغربي ، وحدد التقرير هذه المصادر ومن بينها المد الإسلامي .. وليس الأمر الأمر قاصر أيضاً على الولايات المتحدة الأمريكية ، فقد أكدت إحدى المصادر الألمانية على أن « إنتفاضة العالم الإسلامي صوت نذير لأوربا » .. كما يؤكد ذلك المستشرق « كارادي فو » بقوله : « إن الخطر الكبير الذي يهدد الدولة

المسيحية فى علاقتها بالعالم .. هو الإسلام فى مجموعه ... وأنه يتعين شق العالم الإسلامى وكسر وحدته الأخلاقية ، وأن تستخدم لهذا الغرض الإنقسامات العرقية والسياسية » .

ولقد أبدى الغرب تخوفاً وقلقاً من آثار النمو السكانى فى البلاد الإسلامية وأثرذلك على أمن دول أوربا ، وكذلك موجات هجرة المسلمين سواء من المغرب العربى أو تركيا إليهم بإعتبارهم قوة يمكن أن تكون مؤثرة .

وهذه العوامل مجتمعة تضع الولايات المتحدة الأمريكية والغرب بأكمله فى حالة تحدى سافر .. خاصة وأنه يمثل بالإضافة إلى ما ذكر خوفاً ورعباً لليهود والصهاينة ، وليس هذا التحدى يمثل شعاراً يرفع بقدر ما هو حركة فاعلة للقضاء على هذه القوة من خلال تشويه صورتها واستخدام كل الأساليب المباشرة وغير المباشرة لإحكام سيطرتها عليها والعمل على تشرذمها وإهدار طاقاتها وجعلها بلا مضمون ولا فحوى .

ذلك أن استشراف المستقبل ليس مجرد قراءة سواء كانت متأنية أو عاجلة لما ستأتى به الأيام بل نعنى به هنا اعداد وقراءة ورقة العمل الإسلامى التى يجب أن تكون جاهزة وواضحة لملاقاة التحديات الحالية والمستمرة وإن كان بحث كهذا هو أقرب إلى كونه ورقة عمل منه دراسة متأنية عميقة لا يمكن أن يفرد مقترحات ورؤى لكل الكبوات والتحديات على التفصيل والوضوح الواجبين ، فقط سنحاول إبراز نقاط عامة يمكن أن تكون منطلقات لدراسات أكثر تفصيلاً وتتمثل هذه النقاط فى التالى :

١ - ضرورة العمل على المصالحة الإسلامية الشاملة ، ولا يتأتى ذلك دون مصارحة أولاً ودون صدق النوايا لدى أولى العزم ، فالتمزق سيسعد الأعداء .. ولن يجنى المسلمون من ورائه سوى الدمار والخراب .. ومن بين أوليات مبادئ الإسلام الإخاء والتعاون والتماسك والتآزر .. ولابد أن يجعل المسلمون من كل هذه المعانى والكلمات الساكنة حركة دائبة تخلق على الأقل اتفاق الحد الأدنى من الإرادات ، سواء تم ذلك على المستوى الثنائى أو الجماعى أو فى اطار المنظمات الدولية كمنظمة المؤتمر الإسلامى أو جامعة الدول العربية والتى يجب تطويرهما حتى تكونا مواكبتين للمتغيرات وصالحتين لمواجهة التحديات وفوق ذلك لتمثل الأمة الإسلامية فى اطار تكاملى منظم يعبر عن آمالها ويمثل مرتكزاً لها ويكون صوت هذه الأمة موحداً ورأيها مجمعاً يتفق

على ما ينفعها ويرفض ما يوهنها ، وسوف يؤدى ذلك بالضرورة إلى أن قرارات هذه الأمة سوف تكون معبرة عن أهدافها ومصالحها ومتسق مع مبادئها .

٢ - في اطار ما قد يصيب هذه الأمة من جراء تطبيق اتفاقية «الجت» فإنه يمكن الخروج من مشكلات وسلبيات التطبيق وذلك باتباع عدة إجراءات جادة تتمثل فى تنمية الصادرات واستمرار الحماية للصناعة والخدمات المحلية مع تعاون رجال الأعمال فى الدول الإسلامية فى اطار من التنسيق فيما بينهم لمجابهة المنافسة الخارجية وتحسين الجودة وتنمية المنتجات ذات الميزة التنافسية ، وتنمية القدرات البشرية العاملة ، وإزالة معوقات الإنتاج .

وبجانب ذلك كله تبرز آمال كبيرة مرتبطة باقامة سوق إسلامى كبير إلا أننى أعتقد أن هذا الأمر بعيد عن استشراف المستقبل القريب المنظور .. وإن كان يمكن إتخاذ إجراءات لإنشاء قاعدة بيانات تشمل حصراً كاملاً بكافة الإمكانات المتوافرة لدى مجموعة الدول الإسلامية سواء كانت تمويل أو تكنولوجيا أو ثروات طبيعية وبشرية .

٣ - ضرورة العمل على تصحيح صورة المسلمين لدى الغرب وذلك ليس بإعلام مستشاط غيظاً أو منفعاً كدماً وحزناً ولكن بإعلام واع وفكر ناضج وحج مستنيرة تدخض المفتريات وتعرى الزيف ، وبذلك بالحسنى - والمسلمون جميعاً مطالبون هنا بالتصدى لبحث أسباب عداء الغرب ومناقشته فى اطار حوار علمى جاد وباستخدام كل ما أتاحه العلم من وسائل لازمة وتأسيساً على محددات ومنطلقات ثابتة ، وذلك يستلزم بالدرجة الأولى لا نقول تحديد منهج الحوار والاقناع والرد والدفاع بل يستلزم بداية تحديد المفاهيم والمتغيرات المستحدثة فضلاً عن تحديد أبعاد وصور السيطرة والهيمنة الموجودة وهل ستنفرد بها قوة واحدة أم أكثر .

٤ - يستلزم ما سبق ضرورة تحديد أدوار إدارة الصراع ، وبالتالى التعرف على الإمكانات المتوافرة لدى المسلمين أولاً وكيفية إيجاد تنسيق كامل بينها ، وكيفية إدارتها فى وقت الاسترخاء وعند الأزمات ، ويستلزم الأمر عند حصر الإمكانات اضافة البعد الحضارى والقائم على تكريم بنى آدم وعدم الإكراه فى الدين مع الإرتقاء إلى مستوى القيم العقدية السامية والحضارية الأصيلة ، وذلك يضيف جهداً مطلوباً من الأمة الإسلامية وهى العودة إلى قيمها .. وبالاضافة إلى ذلك فإن الجامعات الإسلامية

مدعوة للبحث باستفاطة وعمق عن كيفية وجود مكان فاعل للعالم الإسلامى ضمن ما يجرى فى العالم الآن ، وعلى أن يتمكن من استيعاب كل العلوم والمعارف الهادفة لخدمة الإنسان والاستفادة من التكنولوجيا الحديثة فى هذا الاطار ، خاصة وأن الحضارة الإسلامية لم تمانع من الأخذ من الحضارات الأخرى بما يناسبها ويناسب شريعة الله .

وبجانب ذلك فإن الجامعاتالإسلامية مدعوة أيضاً لمعرفة أسباب التخلف النسبى العلمى عن الغرب .. ذلك أن من بين هذه الأسباب تقاعس المسلمين وتفصد عراهم .

٥ - العمل بفكر مستنير على تخليص المسلمين من تلك الشراك التى نصبها لهم الآخرون بوعى وأوقعوا فيها أنفسهم بدون وعى ، وأصبحوا لذلك سجناء لتناقضات متعددة ما بين الدين والعلم ، والعروبة والإسلام ، والوطنية والقومية ، والأصالة والحداثة ، وتناقض بين الحاضر والماضى .. وما إلى ذلك من تناقضات دفعت إليها الأمة بعد أن أحكم اشراك لها .

٦ - العمل على مواجهة حركة التنصير التى انتشرت فى كل بقاع الأرض تخاطب الناس وتلمس فيها أنات الضيق وآثار الفقر المدقع والتخبط الحضارى وغياب الوعى والفهم الإسلامى لدى هؤلاء الناس .. وغيابه من المناهج التعليمية ، ولنا أن ندرك أن دولاً أفريقية وأسيوية متعددة تسيطر فيها الكنيسة ويجول فيها المنصرون ويسيطرون على قطاعات التعليم ، وتأتى الخطورة هنا من أن التعليم فى عصور التخلف وبيئتها يكون تعليماً ، مأزوماً وعقيماً ينتج خطراً ودماراً حيث ينتج إنساناً بغترياً مقهوراً .. وهو تعليم خالى المضمون ولكنه يحمل شعارات براقة بعيدة عن الكيف الحقيقى والفاعل ، وهكذا يصبح التعليم فى هذه الدولة وسيلة لتحقيق هدف المنصرين وفى نفس الوقت يتوحل إلى مشكلة من مشكلات التخلف ذاتها .. والجامعات مدعوة هنا للأخذ بأسباب التصحيح ليس فى الشكل أو المسار ولكن فى الهيكل والمضمون بحيث تحقق هدفاً وهو تحقيق مخرجات إسلامية نقية . ويمكن أن يتم ذلك فى اطار تطوير مناهج التعليم بحيث يكون هدفها واضحاً ومحدداً وعلى سبيل المثال يمكن أن تتناول التنشئة الدينية المستنيرة وتنمية الهوية الثقافية ، وكذلك أعمال التفكير

العلمى والعقلانى والنقدى ، وتنمية قدرات الفرد على إحداث مواجهة ، ومواجهة التحدى ، مع تنمية الإعتزاز بالقيم والسلوكيات الإسلامية وتنمية الصحة والنفس لضمان سلامتها .

٧ - ويقودنا العامل السابق إلى نقطة غاية فى الأهمية وهى المتعلقة بالإنسان المسلم وكيف يمكن تنقية فكر واعادة ترتيب ذهنه وغسيل نفسه لتنقيتها مما يكون قد علق بها ، أو بمعنى أوسع اعادة بناء الإنسان المسلم بكل مقوماته ليكون هدف ووسيلة التنمية فى العالم الإسلامى ، وأن تكون هناك استراتيجية محددة لتربية وتحرير وتثقيف الإنسان المسلم فى العالم الإسلامى ، ذلك أن الإنسان الضعيف روحياً ومعنوياً ومادياً ، ليس بقادر على مجابهة أى تحدى فضلاً عن عزوفه عن الاتقان وبعده عن الإجادة ، وإن كان ذلك يستلزم عدة محاور لا ترتبط بالتعليم فحسب ، بل ترتبط بتطوير النظم السياسية فى عديد من الدول الإسلامية لخلق مناخ ديمقراطى حقيقى ، وتحقيق المشاركة السياسية الفاعلة وتحفيز الولاء والعمل من أجل صالح الناس جميعاً .

٨ - الجامعات الإسلامية مدعوة للبحث بجدية وبكل ما تملك من أساليب علمية عن التفكك لدى المسلمين والتعرف على العوامل سواء من ناحية المسببات أو المقدمات أو الآثار ، وكيفية التصدى لذلك ، وأهمية وجود مد إسلامى قوى وحركى وفاعل يستلزم الأمر تقييمه دوماً ومتابعة مسيرته باستمرار بأسلوب ومنهج علميين ، وذلك يستلزم أيضاً بل وبالدرجة الأولى بحث صياغة وتطبيق استراتيجية عالمية للدعوة للإسلام والتبصير بحقيقته ، وأنه ليس دين ارهاب أو تطرف بل إنه يعمل على إعلاء هامات الناس وكرامتهم ، ولقد ضمن لهم رجالاً ونساءً حقوقاً إنسانية منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان وقبل أن تعرف أوروبا هذه الحقوق أو تقترب منها ، بل كانت تعانى فى ذلك الوقت مرارة الاستبداد والتحكم والسيطرة والعبودية .

واعتقد أن هذه الأبعاد أو المقترحات يمكن أن تكون نواة محاور ومنطلقات لبحوث ودراسات أكثر عمقاً وأدق تفصيلاً ، ويأتى ذلك فى اطار أعمال رابطة الجامعات الإسلامية ، بل وعلى وجه التحديد ضمن أول أهدافها وهو العمل على تنمية الروح الإسلامية وإشاعتها ، والاعتزاز بالقيم الإسلامية والتمسك بها .

سابعاً : التحديات الحضارية التى تواجه العالم الإسلامى فى القرن المقبل ودور الجامعات الإسلامية :

يتضمن هذا البحث النقاط الآتية :

١ - الجذور التاريخية للتحديات الحضارية .

٢ - التحديات الحضارية الراهنة .

٣ - دور الجامعات الإسلامية تجاه هذه التحديات .

ثامناً : المشروع الإسلامى وأساليبه الجهادية فى مواجهة النظام العالمى الجديد ويتضمن هذا البحث النقاط الآتية :

إن الجبهات الزاحفة على العالم الإسلامى والعالم الثالث كله ثلاث جبهات رئيسية هى :

أولاً : الجبهة التغريبية المادية العلمانية التى يمثلها مجتمعة حلف الناتر (الأطلنطى) ، الذى أبقى على نفسه لمقاومة الإسلام ، والمد الأصولى المتطرف الذى اخترعته أجهزته .

ثانياً : والجبهة الثانية هى جبهة الفاتيكان ، والكاثوليكية .

ثالثاً : والجبهة الثالثة هى الجبهة الصهيونية العالمية ، التى نظن - وهى محقة إلى حد كبير - فى أنها تركب العالم المسيحى لتحقيق أغراضها .

أولاً : الجبهة التغريبية العلمانية :

مع بداية العام الميلادى ١٩٩٥م وتولى (ويلى كلايس) منصبه كسكرتير عام لحلف الأطلنطى (الناتر) ، أصدر (ولى كلايس) تصريحاً يمثل تهديداً واضحاً معلناً بدء الحرب العالمية على الأصولية الإسلامية ، وقد اقترح أن يساعد الحلف فى حربه العالمية على الإسلام - مبدئياً - خمس دول شرق أوسطية هى تونس - أولاً - ثم مصر والمغرب وموريتانيا وإسرائيل ... وعندما أدرك (ويلى كلايس) أن تصريحه يمكن أن يوقظ المسلمين أو يوحد صفوفهم ، حاول التخفيف من تصريحه قائلاً : إن الإسلام ليس هدفنا ؛

وإنما الأصولية والأصوليون هم الموضوع . وقد حاول مندوب الأهرام فى روما (ميشيل راجاتا) المشاركة فى عملية التضليل والتمييع فكتب فى جريدة الأهرام تحليلاً يحاول فيه تحسين صورة (ويلى كلايس) ، زاعماً بأن (ويلى كلايس) يحاول مد جسور الحوار مع هذه الدول الخمس ؛ لكى يواجه حلف الأطلنطى المشكلات الجديدة بالحوار من أجل الأمن الأوروبى بعد أزمة البوسنة وأعمال العنف والإرهاب فى بعض دول البحر المتوسط ، وأشار ميشيل راجاتا مندوب الأهرام المتطوع بالدفاع عن (ويلى كلايس) إلى أن كلايس لم يقصد بتصريحاته الدخول فى حرب مع الإسلام ، ولكنه يخضى التطرف لأنه قد يتحول إلى عنف وإرهاب ، كما يخش انتشار أسلحة الدمار الشامل كما فى حالتى العراق وكوريا الشمالية - دون أن يذكر إسرائيل - ومع ذلك حاول مندوب الأهرام فى روما (ميشيل راجاتا) تبرير هذا بأنه قد يثير مسألة إسرائيل فى اجتماعه مع مندوب إسرائيل والدول الأربعة العربية عندما يجتمع بهم فى بروكسيل !!

وتشاء عناية الله أن يقوم الدكتور مصطفى محمود - جزاه الله خيراً - بتعرية تصريحات (ويلى كلايس) فى العدد نفسه من جريدة الأهرام فى مقال بعنوان (التاريخ يسرع الخطى) قائلاً : «إن الإسلام يا سادة هو الهدف ، وإن الشحن المستمر لمشاعر الاستفزاز والكراهية والرفض العالمى لكل ما هو إسلامى أمر مخطط له ، ومبرم بليل ؛ وذلك لتجيء حركة حلف الأطلنطى فى حرية العلنية على الإسلام تتويجاً طبيعياً ونجده متوقعة ومطلوبة لإنقاذ العالم من تهديد أخطر من التهديد الشيوعى ، وكارثة أخطر من الطاعون الدملى اسمها الأصولية الإسلامية .. إنه الإسلام ذاته هو المراد اصطياده بطعم الإرهاب ؛ وأين العشرات أو المئات الذين راحوا ضحية الإرهاب (الإسلامى) على حد تعبيرهم من الثلاث مائة ألف قتيل والثلاثة ملايين مطرود ومشرد بفعل العدوان الصربى المجرم فى البوسنة الذى تجاوز حدود العدوان إلى الاغتصاب وحرق الأطفال والأسرى أحياء ... على مسمع ومرآى من العالم ؟. دون أن تتحرك جيوش حلف الأطلنطى لتفعل شيئاً حاسماً لوقف تلك البشاعات وما زال نزيف الدم فى البوسنة المسلمة مستمرا ومن بعد ذلك فى الشيشان المسلمة ... والعالم يتفرج ... ثم لا ينفعل إلا للجرائم الفردية التى ترتكبها قلة من الأصولية !!

إنه الإسلام نفسه ، هو المطلوب الإتيان به فى السلاسل والقيود .

وهكذا يناشد الدكتور مصطفى محمود المسلمين - حكاماً ومحكومين - ونسأل الله أن يستجيبوا له - أن يتقوا الله فى أمتهم وألا يقودوها إلى الانتحار الجماعى ، وألا تقف

أجهزتهم الرسمية فى خندق أعضاء (الناتو) الذين يتهيؤن لإقامة مجزرة جماعية للمليار مسلم بدعو التطوف والأصولية !!

ثانياً : الفاتيكان وتنصير العالم :

مع بداية التسعينات وسقوط الشيوعية بدأ الهجوم البابوى الواضح ضد الإسلام ، على أساس أنه إذا كانت الثمانينات لاسقاط الشيوعية فإن التسعينيات مخصصة لاسقاط الإسلام وتنصير العالم ، ولهذا الغرض أصدر البا يوحنا بولس الثانى وثيقتيه (روعة الحقيق) و (ادخلوا فى الرجاء) وهو فى وثيقته الثانية يتحدث عن القرآن قائلاً : إن أى شخص يقرأ القرآن وهو على دراسة مسبقة بالعهد القديم والجديد ، سيلحظ بوضوح سياق الاختزال الذى تعرض له التنزيل المسيحى . ومن المحال ألا يصدم المرء من عدم الفهم الذين يظهر بوضوح فى القرآن لما قاله الله عن نفسه .. إن الله القرآنى تطلق عليه أجمل الأسماء المعروفة فى اللغة الإنسانية ، لكنه فى نهاية المطاف ، مجرد إله يظل غريباً عن العالم . أنه عبارة عن «إله جلالة» فحسب ، وليس أبداً (عمانويل) أى (الله معنا) .

وتعلق على هذا الكلام الذى لا يليق برجل فى هذا المستوى الفكرى والدينى الدكتورة زينب عبد العزيز أستاذ الحضارة الفرنسية بجامعة المنوفية قائلة : «لا شك فى أن القاريء لهذه الإجابة لا يمكنه إلا أن يشعر بالامتعاض ، ليس لما بها من جهل ومغالطات متكررة على مدى أربعة عشر قرناً فحسب ، بل لأنها صادرة عن البابا يوحنا بولس الثانى شخصياً ومتى ... فى نهاية القرن العشرين .

ثالثاً : المسيحية الصهيونية :

نجح اليهود - عبر تخطيط دقيق محكم - أن يدخلوا فى بنية الفكر الأوروبى كثيراً من المعتقدات والأفكار التى تحقق لهم تسخير المسيحية - ولا سيما البروتستانتية - لأهدافهم .

وقد نجحت الأدبيات اليهودية التى تسربت إلى صميم العقيدة المسيحية فى ادخال ثلاثة مفاهيم أساسية تخدم اليهود ، وهى :

١ - الإيمان بأن اليهود هم شعب الله المختار .

٢ – الإيمان بأن هناك ميثاقاً إلهياً سرمدياً يربط اليهود بالأرض المقدسة فى فلسطين .

٣ – ربط الإيمان المسيحى بعودة السيد المسيح بقيام دولة صهيونية أى باعادة تجمع اليهود فى فلسطين .

تاسعاً : منهج التفكير الإسلامى فى اطار تحديات النظام العالمى الحديث :

يتضمن هذا البحث النقاط الآتية :

يعيش العالم الإسلامى اليوم مرحلة حضارية حرجة ، وهو مقبل على مرحلة أشد حرجاً ، وأكثر تحدياً ، ولعل السبب الجوهرى فى ذلك يعود إلى أن هذه الكتلة البشرية المسماة بالعالم الإسلامى هى الوحيدة فى العالم التى تملك المقومات الحضارية والمادية البديلة للحضارة الغربية ، مما جعلها المصدر الأساسى لمخاوف مخططى النظام العالمى الجديد ، بل العدو الذى اتفقت كلمته على حربه .

فى العالم الإسلامى – إذا – شيء آخر غير الثروات الطبيعية والبشرية يهدد هذا النظام الجديد ، أنه بصراحة «الإسلام» ليس الإسلام بوصفه ديناً فكم من ديانة فى الشرق والغرب لا يؤبه لها ولا يحسب لها حساب ، لكن الإسلام بوصفه منهجاً فى الفكر ، وفى الحياة ، وفى المعرفة . النظرية المعرفية الإسلامية هى مصدر الخطر على النظرية المعرفية الغربية ، لأن هذه النظرية الإسلامية تجعل المسلمين يفكرون بطريقة ليست مختلفة عن طريقة التفكير الغربية فحسب ، بل مناقضة لها ، وتؤدى إلى نتائج مختلفة عن نتائجها ، إلى درجة تجعل صاحب المنطق الإسلامى يختلف عن صاحب المنطق الغربى فى الأسس والمسلمات ، فما يراه الغربى صواباً قد يراه الشرقى خطأ ، وما يراه الغربى أسود قد يراه الشرقى أبيض ومن ثم أدرك مفكرو النظام العالمى الجديد أن تقدم النظام المعرفى الإسلامى وشيوعه وتفوقه لن يكون فى صالح النظرية الغربية ولن يتتلمذ عليها .. كما هو الشأن مع اليابان وروسيا مثلاً . بل سوف يكون على أنقاضها ، فالمنهج الفكرى الإسلامى لن يكون امتداداً للمنهج الغربى لأنه بديل له ، ولذلك فإن التقدم الذى ينتظر من العالم الإسلامى أن يحرزه عن طريق هذا المنهج لا يقوم على تطوير المنهج الغربى أو تعديله ، بل على اقتلاعه من جذوره ، أو تفكيكه وهضمه .

وقد أدي الإنبهار الغربى بالعلم وما احرزه من اكتشافات واختراعات مذهلة إلى أن اقتنع العقل الغربى بأن الحقائق لا يمكن اكتشافها إلا بهذا المنهج العلمى الذى أحرز كل

هذه الانتصارات ، فأصبح المعقول لديهم مرادفاً للطبيعي ، وأصبح الواقعي مرادفاً لما هو قابل للتجربة ، وأصبحت المادة نموذجاً مثالياً لأي موضوع للتفكير ، فما تنطبق عليها صفاتها صالح لأن يفكر فيه ، وما دون ذلك غير صالح للفكر وغير قابل للمعرفة لأنه غير موجود ومن هنا فإن الفكر الغربي استبعد من مجاله كل ما استبعده العلم من مجاله ، فحصر نفسه في مجال الطبيعة ، والتزم بقوانينها ، وآمن بثبات هذه القوانين ، ولم يعترف بأي قوة تخرق هذه القوانين ومن ثم فإنه لم يعترف بالغيب .

مجمل القول ان النظرية المعرفية الغربية الحديثة تؤمن فقط بما هو طبيعي ، وما هو عقلاني وما هو مادي ومدرك ، وقابل للتجربة ، وما دون ذلك عندهم فهو خرافه ، أما بالنسبة للأشياء المجهولة فما كان منها خاضعاً للشروط السابقة فإنه سوف يعرف في يوم من الأيام بالأساليب نفسها التي عرف بها المعلوم ، وما دون ذلك فهو غير موجود .

طبق الغربيون هذا المنهج العلمي على الحياة وعلى المجتمع وعلى المكونات الاقتصادية والنفسية والتشريعية وعلى الدين فاثمر هذا التطبيق نظريات اجتماعية واقتصادية وفكرية عتيدة ، مثل نظرية العقد الاجتماعي عند روسو ، ونظريات دور كايم وليفي شتراوس وداروين وفرويد وماركس وانهارت على أعتاب هذه النظريات كل المعتقدات الدينية ذات الطابع الخرافي التي كانت سائدة في الغرب في العصور الوسطى ، وانهارت معها سيطرة رجال الكنسية وعصر الاقطاع بكل ما فيه ، وتحرر العقل الغربي من وصاية رجال الدين ومن سطوة الكنيسة والدكتاورية في وقت واحد .

وهكذا نرى أن النظرية المعرفية الأوروبية الحديث المسماة بالعلمية أو العلمانية تحتوي على جانبين :

الأول : منهج علمي خالص يستخدم العلم والعقل أداتين للمعرفة .

الثاني : مذهب وعقيدة تقوم على عبادة العلم والعقل وترفض كل ما عداهما .

وقد أمتزج الجانبان في عقول العلماء وفي حياتهم أمتزاجاً خطيراً يعبر عنها جوتة في مسرحية فاوست أدق تعبير حينما يصور (فاوست) بأنه قد باع روحه للشيطان في سبيل المعرفة ، إن فاوست هذا هو الإنسان الغربي نفسه ، وأزمته ليست إلا أزمة الحضارة الغربية بوجه عام .

أما الإسلام فإنه يستخدم العقل استخداماً خاصاً يختلف عن الاستخدام الغربى له ، وينظر إلى العلم نظرة مخالفة ، فلا عقل كما يصوره لنا القرآن الكريم أداة بشرية لها قدرات محدودة وهى فى ذلك تشبه سائر المكونات الإنسانية ، فالعين مثلاً يمكنها رؤية الأشياء القريبة وتعجز عن رؤية الأشياء البعيدة ، والأذن تسمع الأصوات المرتفعة وتعجز عن سماع الأصوات المنخفضة ، وبالمثل فإن العقل يمكنه أن يدرك الأشياء التى تقع فى مجال إدراكه ويعجز عن فهم ما دون ذلك .

هذه المسلمة هى الركيزة الأولى فى الفكر الإسلامى ، وهى النقطة الأولى فى الخلاف بل التناقض بين النظرية الإسلامية فى المعرفة والنظرية الغربية ، فالثقة الزائدة فى مقدرة العقل الإنسانى أدت إلى عبادة العقل عن الغربيين ، أخرجتهم من عبادة رجال الدين فى القرون الوسطى إلى عبادة العقل فى العصر الحديث ، أما الإسلام فيعرف للعقل حدوده ودوره فى حياة الإنسان وفى الكون . لذلك نجد القرآن الكريم يقصر توجيه العقل الإنسانى فى النظر إلى الأمور المدركة بالحواس ، أو ما يلزم من إدراك الحواس فحسب فالآيات التى ترد فيها كلمة العقل أو مشتقاتها فى القرآن الكريم تتحدث فقط عن الليل والنهار والسماوات والأرض والسفن والبحار والأمطار والنبات والدواب والرياح والسحاب والنجوم والقمر وغير ذلك من الأشياء المدركة ، ثم تتحدث عن هيئات وصفات مدركة أيضاً تتعلق بهذه الأشياء ، مثل تقلب الليل والنهار ، وجرى السفن فوق الماء ، ونزول الأمطار .. الخ .

ثم يشير القرآن الكريم إلى خاصيتين اثنتين فى هذه الأشياء، وفى هيئاتها :

الخاصية الأولى : هى الفائدة التى تعود على الإنسان من استخدام هذه الأشياء مثل استخدامها للسفن ، وانتفاعها بالمياه والزروع والرياح ، ولم يقيد الإسلام الناس بطريقة خاصة فى كيفية الانتفاع بهذه الأشياء ، فلم يلزم القرآن الكريم أو الحديث الشريف الناس بأسلوب خاص فى بناء السفن أو استخراج المياه ، فهى أمور دنيوية متروكة تماماً للعقل ، وقد أبدع فالإنسان فقط هو الذى يعجز عن إيجاد المادة من العدم وإلا فكيف كانت المادة الأولى التى تحولت منها المواد ومن أين جاءت ؟

من هنا يتبين لنا ان الإسلام له منهجه ومذهبه الخاص وهو لا يرفض العلم الغربى بوصفه منهجاً بل يرفض ذلك العلم بوصفه مذهباً . يرفض عبادة العلم لكنه لا يرفض العلم

نفسه ، كما أنه لا يرفض العقل بل يرفض أن يتخذ العقل إلهاً ، وتاليه العقل يكمن في التسليم بقدرته على كل شئ ، والوثوق فيه إلى درجة العبادة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم الطائي عندما نزلت الآية ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ « ٣١ التوبة » فقال عدى : لم يعبدوهم .

قال : أمروهم فائتمروا ، ونهوهم فانتهوا .

فالطاعة العمياء الناشئة من الوثوق والتسليم ...

إن العالم الإسلامى منذ مطلع العصر الحديث مقبل بينهم على ارتشاف العلم من أوروبا ، لكنه عازف عن دياناتها ، فهذا رفاعه الطهطاوى يقول : «إن سائر الفنون العلمية التي يظهر أثرها بالتجارب معرفة هؤلاء العلماء بها ثابتة ، واتقانها عندهم لا نزاع فيه ، ولكن لهم بعض اعتقادات فلسفية خارجة عن قانون العقل» ويلخص رفاعه هذه الاعتقادات في عبارة واحدة حيث يقول : «إن الفرنساوية من الفرق التي تعتبر التحسين والتقبيح العقليين» .

وما يزال رأى رفاعه هذا هو الرأى المعتقد لدى عامة العلماء المشتغلين بالطب والزراعة والهندسة فى العالم الإسلامى على الرغم من تلك الموجه العاتية التى كانت تفرض المذهب الأوروبى على الحياة التشريعية والتعليمية والثقافية طيلة عهود الإستعمار وما بعدها .

واليوم يقف العالم على أعتاب عصراً جديد بعد أن انتهت النظرية الشيوعية من الوجود ولم يبقى فى العالم سوى تلك النظريتين : الغربية والإسلامية ، وفى كل منهما جوانب قوة وجوانب ضعف ، أما قوة النظرية الغربية ففى العلم الذى تملكه ، أو يملكه أصحابها ، ويكمن ضعفها فى أنها قد ضحت بالأخلاق وأنها أحادية ، تنظر إلى جانب واحد من الكون . أما قوة النظرية الإسلامية فتكمن فى كونها أخلاقية وتنظر إلى الكون فى صورة متكاملة ويكمن ضعفها فى عدم امتلاك أبناءها للعلم .

لكم النظرية المعرفية الإسلامية مرنه وتتيح لأبناءها أن يستفيدوا من المناهج العلمية الغربية كما يمكنها أن تمتص من النظرية المعرفية الغربية خير ما فيها وهو المنهج العلمى ، فى الوقت الذى تقف فيه النظرية المعرفية الأوروبية صلبة جامدة إذ لا يمكنها أبداً أن تأخذ من حسنات المنهج الإسلامى لأن مقدماتها تبدأ برفض أسسه ، ولو أنها تخلت عن هذه المقدمات لذابت فيه .

وهذا هو سر الخطر الذى يشعر به قادة النظام العالمى الجديد ، ذلك الخطر الذى عبر عنه رئيس وزراء إسرائيل الأسبق أمام البرلمان الأوروبى منذ بضع سنوات بقوله : إن الأصولية الإسلامية إذا ما ارتقت إلى الحكم فى بلد إسلامى ، ثم تمكن هذا البلد من التقنية النووية فقل على الحضارة الأوروبية السلام .

عاشراً : آسيا الوسطى والقوقاز فى ظل النظام العالمى الجديد :

ويتضمن هذا البحث النقاط الآتية :

أهداف النظام العالمى الجديد لجذب آسيا الوسطى والقوقاز :

يهدف النظام العالمى الجديد إلى تحقيق استراتيجية أى استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية تلك الاستراتيجية التى أشرنا إليه وهى مجابهة مصالحها الاستراتيجية وبأن تكون هى القوة الشاملة وتحافظ على مصالحها فى آسيا الوسطى والقوقاز خصوصاً مصادر الطاقة سواء كان النفط - كما سبق الحديث عنه - أو الطاقة النووية ومجالاتها . بالاضافة إلى موقع آسيا الوسطى والقوقاز الاستراتيجى فى تقصى أحوال الدول المجاورة التى يهم النظام العالمى الجديد إلا تنمو حتى لا تكون منافسة وبذلك قد تضيع تكوينه لنفسه «كقوة شاملة» مثل روسيا من ناحية أو من تتبع مصالحها فى الخليج وتحركات النظم المعادية - البديلة الخطر فى نظر هذا النظام مثل الشيوعية ، الأصولية فى طاجيكستان وافغانستان والهند والباكستان وايران وتركيا والمنطقة نفسها .

وسائل النظام العالمى الجديد فى تطبيق استراتيجيته فى آسيا الوسطى والقوقاز :

١ - تجريد دول آسيا الوسطى والقوقاز من قدرتها النووية :

بعد استقلال دول آسيا الوسطى والقوقاز شنت الولايات المتحدة الأمريكية حملة منظمة لتجريد دول آسيا الوسطى من مقدراتها النووية وتتعاون فى ذلك مع روسيا ، فتم نقل كل الأسلحة النووية التكتيكية من قزاقستان إلى روسيا بعد اعطاء تلك الدول ضمانات بالحفاظ على تكاملها الأقليمى ففى أوائل سنة ١٩٩٢ تم نقل ٣٢٠ رأساً نووياً مصممة لكى تحملها القاذفات الأربعين ، إلى روسيا ، رغم ادراك القيادة القزاقستانية لأهمية الاستراتيجية التى يضفيها عليها امتلاك السلاح النووى ، ولخطورة امتلاك

جيرانها (روسيا والهند والصين) للأسلحة النووية ، ورغم ضغوط المعارضة القازاقستانية للاحتفاظ بالأسلحة النووية فإنها وافقت على نقل الأسلحة النووية التكتيكية إلى روسيا كما وقع الرئيس القازاقستانى نظر بايبف فى مايو ١٩٩٢ بروتوكول لشيونة الخاص باتفاقية ستارت وبموجبه التزمت قازاقستان بازالة الأسلحة النووية الاستراتيجية من أراضيها بحلول عام ١٩٩٦ . وفى يوليو ١٩٩٢ صدقت قازاقستان مع بروتوكول لشبونة . كما تم نقل كل اليورانيوم المخصب الموجود لدى قازاقستان إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

٢ - الجذب الثقافي :

كان لموقف الرئيس نظربايبف من الأسلحة النووية ومن الحد من الأسلحة النووية حسبما صرح به فى خطبته فى المؤتمر الأول لمنظمة «التحالف العالمى ضد الأسلحة النووية الذى عقد فى المانيا عاصمة قازاقستان أنه يوجه نداءه للدول التى تملك السلاح النووى بتجميد التجارب الذرية التى تهدف إلى إنتاج اسلحة الدمار الشامل حتى عام ٢٠٠٥م .

وقد صرح وزير الخارجية القازاقستانية توليوتاى سكاكوفيتش سوليموتوف ، بأنه ليس ذنبنا ان وجدت الأسلحة النووية فى الأراضى القازاقية وان شعبنا يعانى حتى الآن من آثار وجود هذه الأسلحة لقد جربوا هذه الأسلحة فى بلادنا ولم يسألونا ولم يسألوا شعبنا لذلك نحن لسنا فى حاجة إلى الأسلحة النووية . والواقع أن هذه النظرة تنبع من سياسة الرئيس نظربايبف واتفاقاته مع الغرب فى مفهوم وأهمية للأسلحة النووية لبلاده .

٣ - استخدام إسرائيل لجذب المنطقة :

ان نشاط إسرائيل فى منطقة آسيا الوسطى والقوقاز . يحمل وجهين ، الوجه الإسرائيلى خدمة لمصالح إسرائيل والوجه الآخر التعاون القائم بين إسرائيل وبين الولايات المتحدة الأمريكية فى آسيا الوسطى والقوقاز وعلى الوجه الأول نجد ان أحد الباحثين المتخصصين من العرب المقيمين فى منطقة آسيا الوسطى والقوقاز قد أطلق تعبير «التيار الإسرائيلي» على نشاط يهود إسرائيلى فى المنطقة وقد تناول فى بحثه هذا «التيار» من جهة تأثير النشاط الإسرائيلى على التوجهات الإسلامية – والقومية – المعنية هناك ويحدد نشاط إسرائيل فى سبع نقاط هى :

١ - التركيز بشكل قوى على العمل مع التوجه العام (العامى) من خلال برامج مختلفة (زراعية - اقتصادية - علمية - اجتماعية - سياسية .. الخ) .

٢ - اعادة اليهود المهاجرين إلى فلسطين المحتلة مرة أخرى إلى الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى والقوقاز ليشكلوا نواة التحرك الإسرائيلى فى المنطقة لعلمهم بلغة القوم وعاداتهم وتفاصيل حياتهم . وهذا بالطبع غير تهجير اليهود من آسيا الوسطى وقد كانت السلطات الإسرائيلية قامت بعملية نقل جوية مثيلة لعملية موسى التى نقلت بها اليهود والفلاشا من اثيوبيا وهى نقل ٢٠٠ ألف يهودى من آسيا الوسطى بعد أن زعم «زئيف كاتز» أستاذ شئون الاتحاد السوفيتى السابق بالجامعة العبرية ان اليهود فى الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى معرضون للخطر وان على إسرائيل واليهودية العالمية انقاذهم عن طريق تنظيم عملية جوية عاجلة لنقلهم إلى إسرائيل .

٣ - استخدام ٧٠٠٠ (سبعة آلاف) عالم وخبير مسلم (عام ١٤١٢هـ) واعطائهم حق الإقامة الدائم فى إسرائيل للاستفادة منهم فى المعامل والمصانع .

٤ - استضافة كبار الشخصيات وتقديم التقنية العلمية الإسرائيلية لهم واكرامهم ثم عمل تعاقدات واتفاقيات ومعاهدات زراعية واقتصادية وعلمية وثقافية وغيرها .

٥ - فتح الخطوط الجوية المباشرة بين عواصم الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى والقوقاز وبين تل أبيب وهى من أوائل الخطوط المفتوحة .

٦ - اقامة المتاحف التاريخية اليهودية فى المنطقة والتى تقدم فكر وحضارة اليهود على مر العهود .

٧ - المبادرة إلى فتح سفارات فى معظم الجمهوريات الإسلامية .

٤ - استخدام تركيا لجذب المنطقة إلى النظام العالمي الجديد :

لا شك ان النظام العالمى الجديد قدم تركيا نموذجاً للبلد الشرقى المستغرب ، مستغلاً فى ذلك صلات أساسية فى العلاقة بين تركيا والجمهوريات الستة المستقلة على الأقل . لقد عبر رئيس قازاقستان باختصار فى العلاقات التى تربط تركيا بآسيا الوسطى وحصرها

في «روابط تاريخية جذرية سواء في العرق التركي المشترك أو الثقافة التركية المشتركة أو في العادات والتقاليد المشتركة أو في اللغة» فلغة آسيا الوسطى - باستثناء واحد فقط هو طاجيكسان - هي التركية وان اختلفت اللهجة فمن لغة تركية باللهجة الاوزبكية هي السائدة في اوزبكستان أو اللغة التركية باللهجة الآذرية هي السائدة في آذربيخان أو اللغة التركية بلهجة قيرغيزية هي السائدة في قيغيرستان ، أو اللغة التركية باللهجة التركمانية هي السائدة في تركمانستان، أو اللغة التركية باللهجة القازاقية في قازاقستان.

حادي عشر: موقف النظام العالمي الجديد مما يسمى بالخطر الإسلامي:

يتضمن هذا البحث النقاط الآتية :

ثالثاً: النظام الجديد وإظهار العداء للإسلام:

لقد تأثرت مجموعة الدول الإسلامية من بين ما تأثر به باقي دول العالم ، فرغم أن هناك شعارات ارتفعت في اطار هذا الوضع الجديد تحدد أهداف وغايات تتمثل في : السلام والشرعية والتعاون ، إلا أن هناك مصالح ذاتية تمثل الدوافع الحقيقية ، وهي ما بين السفور وعدم الظهور .. وإن كانت لا تخفى عن المحللين والمهتمين بشئون هذا العالم الإسلامي ، فعندما نطالع ما نشرته صحيفة نيويورك تايمز في مارس ١٩٩٢ بشأن خطة وزارة الدفاع الأمريكية ، يتضح جلياً أنها ركزت على تحديد المنافسين للوضع الجديد فقد جاء نصاً : «تأكيد استئثار الولايات المتحدة بموقع ودور القوة العظمى الوحيدة في العالم ، ومهمتها منع أي قوة عظمى أخرى أو تكتل أو مجموعة دول أخرى لمنافستها على هذا الموقع» .

وواقع الأمر أن المحلل المدقق يمكن أن يكتشف أن المعنى بمجموعة دول أخرى هي دول العالم الإسلامي ، إذ أن القوى المهيمنة ترى انطلاقاً من الجوانب التاريخية والعقائدية والفلسفية أن الإسلام والمسلمين إنما يمثلون العدو الأول لهم . ويتضح من ذلك بجلاء ما عكسه التغير العالمي من آثار سلبية على الدول الإسلامية وبخاصة تلك التي تتسم بوجود تيار أكثر تشدداً وأصولية ولم يأت ذلك بين ليلة وضحاها فكما تعلم هناك جذور ممتدة مئات السنوات لهذا العداء ولا أكون مغالياً بالقول منذ ظهور الإسلام ، ولكن مع هذه المتغيرات والمستجدات بدأت صورة العداء تتضح بجلاء أو يكشف عنها سافرة معلنة ،

فقد ارتفعت أصوات فى الغرب بمقولات مؤداها أن الصراع بين الغرب والشيوعية طوال سبعين سنة ماضية كان بمثابة مرحلة استثنائية ، بينما الصراع الحقيقى والطبيعى هو القائم بين الحضارة الغربية من ناحية والإسلام من ناحية أخرى ، وهو صراع وإن كان قديماً إلا أنه تجدد حالياً وهم يعتبرون أن تجدده أمر طبيعى بل يعود بالأمور إلى مجراها الحقيقى والمنطقى .

ويذكر المستشرق البارون كارادى فو : «إن الخطر الكبير والعالم الذى يهدد الدولة المسيحية فى علاقاتها بالعالم الإسلام هو الإسلام فى مجموعة ، إذ أن نشوء ثورة فى وقت واحد من المغرب حتى الشرق الأقصى وإن كانت غير محتملة ، إلا أنها ممكنة فى أى وقت ودون أى علة واضحة .. وأنه يتعين شق العالم الإسلامى وكسر وحدته الأخلاقية ، وأن تستخدم لهذا الغرض الانقسامات العرقية والسياسية» .

ولقد أبدى كثير من المسئولين الغربيين فى أكثر من مرة وبخاصة أثناء أزمة الجزائر فى يناير ١٩٩٢ عن تخوفهم من المد الإسلامى ومعارضتهم لاستخدام الدين للاستعلاء على الحكم ووقف الديمقراطية . كما أنهم يتخوفون من آثار الانفجار السكانى فى البلاد الإسلامية على أمن دول أوروبية ويتخوفون كذلك من هجرات المسلمين سواء من الغرب العربى أو تركيا إليهم بل إن عدداً من الدول بدأت تسن قوانين تضمن الحد من تدفق المهاجرين إليها ، ومن الداعى للسخرية الحزينة أو الشجن المصحوب بالسخرية أن وسائل الإعلام فى معظم بلاد الغرب بدأت تستخدم ضمن رسائلها قضايا عنصرية سائدة ، ولوحظ أن المجلات التى تخصص أعداداً للنيل من الإسلام تزداد مبيعاتها بنسبة ١٥ بالمائة وهى لا تعرض موضوعات تنال من الإسلام ولكن تحرض على العدوان على المسلمين، وهذه الصورة أوضح ما تكون بفرنسا فمنذ فترة اشتعلت النار فى أحد أماكن العبادة فى مدينة (نانت) فضلاً عما احدثته الحملات من صعوبات اقتناء أو فتح مساجد أو أماكن للعبادة ، رغم أن البلديات وبعض الكنائس كانت فيما قبل تساعد على ذلك ، إلا أن اليوم أصبح الأمر مختلفاً .

ومن أهم ملامح بل معالم عداء الغرب للإسلام ذلك الالتقاء المتعمد بين الغرب من ناحية والصهيونية من ناحية أخرى فى تحديدهم لعدوهم المشترك وهو الإسلام ونهضته بل أن الغرب ليشعر بعقدة الذنب تجاه اليهود بسبب الاضطهاد الذى مارسه النصارى ضدهم لعهود طويلة .

ولقد تزايد عدد المنظمات المسيحية الصهيونية وسوف أنهي هذه الجزئية بمقولة للقس جيري فالويل زعيم « منظمة الأغلبية الأخلاقية» عندما عبر عن رأى هذه المنظمات المسيحية الصهيونية فقال : « لا أعتقد أن في وسع أمريكا أن تدير ظهورها لشعب إسرائيل وتبقى في عالم الوجود . فالرب يتعامل مع الشعوب بقدر ما تتعامل هذه الشعوب مع اليهود » .

لماذا العداء للإسلام وأى خطر يحمله ؟

هناك مسلمات لا تحتاج لتأكيد ، وحقائق لاتستلزم البرهان ولعل من أهمها وأبسطها في نفس الوقت أن الإسلام لم يكن خطراً على أحد أفراداً أو شعوباً أو مللا أو عقائد ولكن التواء القصد .. وتبدل الرؤى لتحقيق غايات .. استلزم الاتهام .. بل حبذ العداء والمغالاة فيه . ولعل من أبرز الأسانيد أو الحجج التي ساقها الغرب لمعادات الإسلام :

١ - يرتبط بالعامل السابق عامل آخر وهو عامل من يحملون رايات الجهاد ويبعثون في نفوس المسلمين عزيمة وحمية تدعو لحماية دينهم ووطنهم وعقائدهم ويتذكرون أمثلة تؤكد أن الإسلام بث في المسلمين روح النهضة والمقاومة ضد المستعمر .

- فلقد تجلت المقاومة المصرية للمستعمر على أيدى : عمر مكرم وعلماء الأزهر .
- وكانت المقاومة في الهند وباكستان يحمل راياتها أصحاب اتجاهات إسلامية أمثال : محمد إقبال وأبو الأعلى المودودي وأبو الحسن الندوى .
- وحمل لواء المقاومة الاستعمارية في ليبيا نبع إسلامي قاده عمر المختار ومعه أحمد السنوسي مؤسس الحركة السنوسية الإسلامية .
- وكان الإسلام في تونس هو مصدر المقاومة للمستعمرين وكما يقول شميتر : «إن العلماء المسلمين قد أضرموها ناراً حامية ، تخرج من المسجد قاذفات اللهب ، يقذف بها الشعور الديني في وجه المستعمر الأوروبي ، وكم لاقت السلطة الفرنسية في الأعوام الأخيرة من ضربات خرجت من المسجد » .
- ولقد كان محمد الخامس في المغرب يعبر عن روح الإسلام وعزيمته في مقاومته للفرنسيين حتى أن رئيس وزراء فرنسا السابق جي موليه قال : «إن الحركة الإسلامية التي تتسع في أفريقيا هي التي تهدد الامبراطورية الفرنسية في المغرب» .

- وفى حرب رمضان كانت تكبيرات المسلمين أعظم مرتكز للانتصارات على ما سمى بالقوة التى لا تقهر .

٢ - هناك ثمة اجماع لدى الغرب على أن الإسلام يمثل تهديداً للحضارة الغربية ، وهذا الفكر أو الصورة السلبية عن الإسلام تسود أكثر من غيرها ، وهى صور لا تماثل ماهية الإسلام ، وإنما تمثل ما تعتقده القطاعات المسيطرة فى تلك المجتمعات سواء أوروبا أو الولايات المتحدة عن الإسلام وربما كان لبعض الرسائل السلبية التى يرسلها العالم الإسلامى نفسه ما يدعو لتكريس هذا التحيز والأمثلة كثيرة منها حوادث اختطاف الطائرات ، والهجوم على السفارات ، كما حدث لاحتلال الطلبة لسفارة الولايات المتحدة الأمريكية فى طهران ، أو الحكم الفردى السلطوى وغياب الديمقراطية فى بعض الدول الإسلامية ، واحتلال العراق للكويت ، وفتوى الخمينى باعدام سلمان رشدى (دون أن يخل ذلك بجرمه وجريمته وبذاءته والاستفزاز الشديد التى أصاب المسلمين فى مشاعرهم) .

٣ - ترى القوى المعادية للإسلام أن هذا الدين دين إرهاب وحرب وليس دين سلام حتى إن لفظ المسلم أصبح مرادفاً للإرهاب ، ويسوقون أمثلة على ذلك وإن حوت فى بعض منها حقائق إلا أنها تساق بصفة عامة لتشويه صورة الإسلام وهى المرتبطة بدول باكستان والسودان والجماهيرية الليبية وإيران والعراق ويضيفون إلى ذلك عدم الاستقرار فى جمهوريات آسيا الوسطى حديثة الاستقلال والأحداث التى حدثت من قبل فى نيويورك (تفجير مركز التجارة العالمي) . كما أن بعض المعادين للإسلام يرون أن من أهداف حركة الصحوة الإسلامية شن الجهاد أو الحرب المقدسة ضد الغرب.

٤ - يمثل الإسلام خوفاً ورعباً لليهود والصهاينة .. وسوف أحاول فى هذه الجزئية أن أعرض فقط دون تحليل منى أقوالهم (يهوداً وغربيين) فى هذه المسألة .

٥ - إن إنتاج البلاد الإسلامية لأكثر من ٧٠ بالمائة من احتياطيات البترول العالمية ، أمر يثير قلق الغرب نظراً لأهمية وحساسية البترول للأمن والصناعة والحضارة الغربية ، ويضاف إلى هذا القلق اندفاع بعض الدول الإسلامية لامتلاك أنواع متقدمة من تكنولوچيا السلاح ، سواء التقليدية أو أسلحة دمار شامل ، وبخاصة النووى ، وليس الامتلاك بالشراء فحسب بل باتجاه دول إسلامية لإنتاج أسلحة استراتيجية ، وكل ذلك يثير مخاوف الغرب بل يزيدها ، وبالتالى يحركها ضد المسلمين .

٦ - عمل انهيار الاتحاد السوفيتي واندحاره على صعود المسلمين من مرتبة العداء الثانية إلى المرتبة الأولى ، فقد كان النظام الشيوعي القائم يمثل درجة الاهتمام الأولى لدى الولايات المتحدة الأمريكية والغرب وكأنه التنافس والتناحر على أشدها ، وتحضرني هنا مقولة جهر بها وزير خارجية ايطاليا بصفته رئيساً للمجلس الوزاري الأوربي في بداية التسعينيات في إجابته على سؤال لمجلة النيوزويك الأمريكية عن مبررات بقاء حلف شمال الأطلنطي بعد زوال المواجهة بين الغرب الليبرالي والغرب الذي كان اشتراكياً . إذ أجاب موضحاً طبيعة المواجهة القادمة قائلاً : «صحيح إن المواجهة على الشيوعية لم تعد قائمة ، إلا أن ثمة مواجهة أخرى ، يمكن أن تحل محلها بين العالم الغربي والعالم الإسلامي ، وعندما سئل عن كيفية تجنب هذه المواجهة أجاب : «ينبغي أن تحل أوروبا مشاكلها ، ليصبح النموذج الغربي أكثر جاذبية وقبولاً من جانب الآخرين في مختلف انحاء العالم . وإذا فشلنا في تعميم ذلك النموذج الغربي، فإن العالم سيصبح مكاناً في منتهى الخطورة ، وذلك يعني أحد أمرين أما التبعية للنموذج الحضاري الغربي وأما المواجهة الغربية الإسلامية ، وهي تلك التي ستجعل العالم «مكاناً في منتهى الخطورة» وكما أشرنا من قبل فإن أصواتاً من الغرب توصف بأنها مهيمنة على النظام الدولي الجديد أشارت بوضوح إلى أن الصراع الذي كان قائماً بين الشيوعية والغرب قد انتهى وكانت تلك مرحلة استثنائية ، بينما الصراع الحقيقي المنطقي والحقيقي هو ذلك الصراع بين الإسلام والحضارة الغربية .

وكذلك فإن هناك من يغذي هذه الحملة المستعمرة ضد المسلمين سواء من المستشرقين أن المستغربين ويعملون على تسوية تاريخ الأمة الإسلامية ويستخدمون أساليب ووسائل لها طبيعة الثبات ولعل من أهمها ، كما أجتهد فيها واحصاها الأستاذ الدكتو عبد الحليم عويس ، ما يلي :

١ - التركيز على فترات الخلاف بين المسلمين والإسهاب في الحديث عنها ، مع الأعضاء عن الفترات التي تحمل تألقاً .

٢ - مقولة أن فترة الالتزام بالإسلام لم تتعد العصر الراشد .

٣ - محاولة إضعاف روح الإخاء الإسلامي ، وذلك باثارة مسائل عنصرية وإثنية بين العرب والبربر والفرس والأتراك .

٤ - محاولة الوقعية بين العرب وباقى المسلمين ، وذلك بإثارة باقى المسلمين بابراز مصطلحات العروبة والعرب ، والحضارة والفكر العربى وما إلى ذلك .

٥ - العمل على التأكيد على دور الأقليات غير المسلمة وتحركها ضد الأمة ، وذلك فى زعم باطل فإن تلك الأقليات ظلمت وانتهكت حقوقها .

٦ - تأصيل الكراهية لكل الدول والجماعات التى وقفت مع المسلمين ضد الزحف الصليبى مثل المماليك والأيوبيين والعثمانيين .

٧ - الإسهام بأن صور النهضة فى بعض الدول الإسلامية أو فى الحياة الإسلامية عامة إنما يرجع إلى الاحتلال الأوروبى ، مثل الحملة الفرنسية على مصر وبعثات محمد على إلى أوروبا ، ويصاحب ذلك التشكيك فى التراث الحضارى للمسلمين بدعوى باطلة وهى أن حضارة المسلمين نقلت من الحضارة الهيلينية ، وإن المسلمين ليس لديهم إبداع فكرى ولا ابتكار حضارى وإنما كان لديهم اتباع ونقل وترجمة لحضارة غيرهم .

٨ - تمجيد كل أولئك الذين طعنوا الإسلام فى البلاد الإسلامية ، وعلى الجانب المضاد ، الانتقاص من قدر المجاهدين المصلحين من المسلمين بل والكيل لهم .

٩ - تشويه تاريخ المسلمين الحديث ، وقد كان النصيب الأكبر للدولة العثمانية من هذا الهجوم والتشويه باعتبارها ذلك البلد الذى اضطلع بالدور الأساسى فى حماية المسلمين فى القرون الخمسة الأخيرة .

يا أيها المسلمون .. ماذا أنتم فاعلون ؟

ولعل التساؤل الذى يطرح نفسه فى هذا الاطار هو : وماذا نحن فاعلون .. وكيف السبيل لمواجهة التحدى ؟

بداية نقرر أن ثمة مرتكزات أساسية يجب الانطلاق منها لدى عزمنا على مواجهة هذا التحدى ومن أهمها :

١ - بحث وتحديد المفاهيم المستجدة والمتغيرات الدولية المستحدثة وتحديد أبعاد وصور السيطرة والهيمنة الأمريكية . وكذلك الأدوار الأوروبية بصفة عامة .. ومحاولة معرفة هل ستطلق الولايات المتحدة لأوروبا الأمر كاملاً لإدارة الصراع ، أو فى أقصى حالات التفاؤل إدارة الحوار مع المسلمين وتنشغل هى بالصين أو اليابان ؟. أم أنها ستكون فاعلة ومشاركة فى أية حركة على الساحة الدولية .

٢ - تأصيل الأسباب الحقيقية والدوافع للعداء ، وكما تحاول أوروبا الغربية وغيرها محاصرة الإسلام والمسلمين إن جاز هذا التعبير واحتواء المسلمين لتحقيق أهدافها ، فإن المسلمين على الجانب الآخر مطالبون بالتصدى لأسباب ومقومات العداء ومحاولة مناقشته بعقلانية وبحوار علمي جاد مع كل الأطراف ، وذلك باستخدام كل ما أتاحه العلم من وسائل لازمة وتأسيساً من محددات ومنطلقات ثابتة .

٣ - تحديد أدوار إدارة الصراع ، وذلك يستلزم التعرف على الإمكانات المتوافرة لدى المسلمين أولاً وكيفية التنسيق بينها وكيفية إدارتها في وقت الاسترخاء وعند الأزمات ، ويستلزم الأمر عند حصر الإمكانات اضافة البعد الحضارى والقائم على تكريم بنى آدم وعدم الاكراه فى الدين كما أشرنا ، وذلك يستلزم أيضاً من المسلمين الارتقاء إلى مستوى هذه القيم العقدية والحضارية ، ذلك يضيف جهداً مطلوباً من الأمة الإسلامية وهى العملة التى قيمها .

ثانيا: دور المسلمين:

المسلمون مطالبون فى كل بقاع أرض الإسلام بالحركة العلمية المدروسة وفق منهج لانقاش فيه دون اندفاع أو تهور أو شطط أو جنوح أولاً للرد على كل ادعاءات العداء ومرتكزاتها وأسانيدها وابطالها واحدة تلو الأخرى مع اسقاطها تماماً بالاقناع الواعى لا بالأصوات المرتفعة والثرثرة المندحرة .. ولكن بالعقل والبرهان وفوق ذلك بالحسنى وفى هذا المجال يمكن أن أسوق بعض النماذج أو الأمثلة .

١ - إن الإسلام دين حضارة .. وقد تبلورت واكتسبت طابعها المتميز وسماتها التاريخية بعد سنين من ظهور الإسلام وجاءت محصلتها أعمالاً للقيم والحق والعدل والنفع ونهل منها أقوام كثيرون .. والحضارة الإسلامية ثابتة راسخة لم يتخل عنه أهلها كما تخلت أمم كثيرة عن حضارتها التى لم تعد صالحة لهم بفعل تغير الزمان والمكان ..ولقد انعكست الحضارة الإسلامية على العرب الذين نهلوا منها كل مشاربهم ولذا جاءت حضارة العرب متميزة بطابعها العالمى وعطائها الإنسانى الذين تمثلاً فى الدور الذى قامت به عندما كانت لأمتها كلمة مسموعة ودور بارز فى الساحة الدولية ولا أدل على ذلك من مقارنة العرب قبل الإسلام والعرب بعد الإسلام ، فقد كان العرب

ركاماً لا قيمة لهم ولا يحسب لهم أدنى حساب فى اطار العلاقات الدولية وإذ بالإسلام يجمع هذا الركام ويولف منه كياناً جديداً له قيمة ووزن ويحى أمة كانت مواتا .

٢ - الدين الإسلامى لم يعرف تعصباً أو اكراهاً .. ﴿ لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ «البقرة ، ٢٥٦» .. ولا يقر انتشاره وسيادته بالسيف والقوة ، ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ «الكهف ، ٢٩» ، ﴿ فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر ﴾ «الغاشية ٢١ . ٢٢» ، ﴿ فإن أعرضوا فما أرسلنك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ ﴾ «الشورى ، ٤٨» ، ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ﴾ «النحل ١٢٥» .

٣ - تأسيساً على ما سبق فإن دين الإسلام لا يعرف الإرهاب ولاسفك الدماء ، فهو دين لا غلو فيه ولا شطط .. ذلك أنه دين وسطية ، وهذا أمر ليس من عند المسلمين ولكنه تحديد من عند الله عندما قال سبحانه وتعالى : «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول شهيداً عليكم»(البقرة ١٤٣) ، بينما الإنسان اليوم يحيا بين صراعين التفريط والافراط وبين التهاون والعلو ، وكلا الأمرين تطرف غير مقبول يبعد صاحبه عن وسطية الإسلام ، ولا شك أن الوسطية والاعتدال هما سمة أهل الإيمان ذلك أن وسط الشئ أفضله وأعدله .

٤ - الإسلام يعنى تماماً بحقوق الإنسان وليست الديمقراطية الغربية أسبق منه فى ذلك ، فالإسلام كرم الإنسان وأعلى قدره وجعل هذا التكريم يحكم العلاقات الاجتماعية بين الناس مهما تنوعت انتماءاتهم ومهما تفرقوا شعوباً وقبائل . ولقد حمل الإسلام معه تعليمات من أجل حفظ كرامة الإنسان ومنع الأذى عنه ، ولعل بداية حقوق الإنسان التى توفر له الكرامة والتكريم تبدأ من حرية الاعتقاد ، وأوضح أن الدعوة أتت فى باب التبليغ والانذار ولم تأت فى باب الاكراه والالتزام ، وتتوالى الحقوق فضمن الإسلام للإنسان ، حق الحياة ، وحرم القتل والاعتداء على حياة الآخرين . ووضع حق الحماية ويتولد عنه حق كسب الرزق دون تمييز ، وحق الملكية ، وكافة الحقوق المدنية من سياسية واقتصادية وغيرها . ولا أكون مغاليا بالقول أن هناك فارق شاسع بين حقوق الإنسان فى الإسلام وحقوق الإنسان فى اطار الإعلان العالمى لحقوق الإنسان ، الإسلام وضع عديداً من الضوابط لينعم الإنسان بحياته فى اطار توافر حقوقه التى تكفل له تكريمه سائر المخلوقات .

وقد تمت مدارسة ومناقشة البحوث وورقات العمل سواء فى اجتماعات لجنة التحديات الحضارية أو فى اجتماعات الأساتذة مقررى لجان التحديات بالأمانة العامة لرابطة الجامعات الإسلامية ، وقد خلصت تلك المناقشات إلى عدة توصيات نسوقها فى شقين :

- الشق الأول يتعلق بالتحديات الحضارية التى تواجه العالم الإسلامى .
- الشق الثانى يتعلق بدور الجامعات الإسلامية فى مواجهة التحديات الحضارية التى تواجه العالم الإسلامى فى القرن المقبل .

التحديات الحضارية التى تواجه العالم الإسلامى :

يمكن تحديد التحديات الحضارية التى تواجه الأمة الإسلامية فى القرن المقبل من خلال الدراسات والبحوث التى تمت تحت اشراف لجنة التحديات الحضارية ، ومن منطلق أن التحديات الحضارية تشمل المجالات الثقافية والسياسية والاجتماعية والتعليمية والاقتصادية والدينية والإعلامية ، دون أن نكرر جهود لجان التحديات الاقتصادية والسياسية والتربوية والإعلامية والتكنولوجية .

وهذه التحديات الحضارية تتمثل فى :

أولاً : الأمية المتفشية بين المسلمين ، وليس المقصود بالأمية الجهل بالقراءة والكتابة فقط بل نعنى بها الأمية الشاملة المتمثلة فى الجهل بالكثير من أمور الدين الإسلامى ، وفى الجهل بالواجبات قبل الحقوق ، وفى الجهل بالأمور السياسية والعلاقات الاجتماعية السليمة وبالنواحى الاقتصادية اللازمة للمسلمين .

ثانياً : الحكم فى كثير من البلاد الإسلامية بغير الشورى الإسلامية بما يحرم أهالى تلك البلاد من المشاركة الحقيقية فى حكم أنفسهم ، ورغم أن هذه البلاد تدعى أن حكمها يقوم على الديموقراطية الغربية ولكنها ديموقراطية مزيفة لأن الشورى الإسلامية لها أسسها وقواعدها المختلفة عن الديموقراطية الغربية .

ثالثاً : التخلف الثقافى المتفشى بين معظم المسلمين فى البلاد النامية حيث يسود التواكل والسلبية واللامبالاة ، وعدم الاهتمام بمتابعة الأحداث بالقراءة والاطلاع على كل

جديد فى العلم ومتابعة المخترعات الحديثة والاستفادة منها والتمسك بالأمثال القدمية المثبطة للهمة مثل : «لا تفكر ووراءها مدير» و «أصرف ما فى الجيب يأتيك ما فى الغيب» .

رابعاً : الصراع بين الدول الإسلامية صراعاً مسلحاً ، والصراع بين المسلمين فى بعض البلاد الإسلامية ، كالصراع بين المغرب وسكان الصحراء الغربية ، والقتال بين أبناء الصومال وبين أبناء أفغانستان وبين العراق وكل من إيران والكويت ، والخلافات الحدودية بين بعض الدول الإسلامية ، وما تتعرض له بعض البلاد الإسلامية من عدوان كالشيشان والبوسنة والهرسك ، إلى جانب ما تلاقيه الأقليات الإسلامية فى الفلبين وغيرها من اضطهاد .. وكل ذلك يشغل المسلمين عن نفض التخلف الحضارى .

خامساً : الفقر ، الذى يصيب الكثير من أبناء العالم الإسلامى فيخضعون لضغوط خارجية تشغلهم عن التحرر فى إتخاذ القرارات المصيرية ، بل ويشغلهم البحث عن الرزق عن البناء الحضارى الإسلامى ، ويصبحون كما يقول المثل «جوع كلبك يتبعك» . والقوى الكبرى التى تقدم المساعدات للفقراء تفرض عليهم حياة ثقافية واجتماعية وتوجيهات سياسية تتمشى مع مصالحها وليس مصلحة الشعوب الإسلامية الفقيرة .

سادساً : انتهاء القطبية الثنائية التى سادت أثناء الحرب الباردة بين المعسكر الغربى بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية والمعسكر الشرقى بزعامة الاتحاد السوفيتى ، وظهور النظام العالمى الجديد بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية المهيمنة على العالم دون منافس ، وهذا النظام العالمى الجديد لا يراعى مصلحة الدول الإسلامية مما يمثل تحدياً للعالم الإسلامى . ومع ذلك تظهر الآن وتقوى عدد من النظم الأقليمية العالمية مثل الاتحاد الأوروبى ، والنمور الأسيوية ، ومجموعة دول الأسيان وغيرها .

سابعاً : القبول العالمى لفكرة اقتصاديات السوق وحرية المبادلات الدولية مما يمثل تحدياً للدول الإسلامية التى مازالت تطبق اتجاهات اشتراكية ونظماً شمولية .

ثامناً : الفرقة بين دول العالم الإسلامى ، حيث تعيش كل دولة فى اطارها بدعوى المحافظة على استقلالها بعيداً عن تدخل الأخرى الإسلامية وغير الإسلامية فى أمورها الداخلية ، وللأسف تجد مثل هذه الدول تتفتح على العالم غير الإسلامى وتتعامل معه ثقافياً واقتصادياً أكثر من انفتاحها على دول العالم الإسلامى .

تاسعاً : سيطرة القوى العالمية على مصادر ثروة كثير من البلاد الإسلامية بل ووضع أنصبتها من النفط مثلاً فى مصارف هذه القوى العالمية وبعملاتها مما يحرم البلاد الإسلامية صاحبة الثروة من التصرف فى هذه الأموال دون موافقة القوى الكبرى المتحكمة .

عاشراً : نظرة بعض القوى العالمية إلى الإسلام على أنه عدو للمصالح الاحتكارية العالمية ، وأن الإسلام أصبح عدواً للغرب بعد انهيار الاتحاد السوفيتى بنظامه الاشتراكى . والربط بين الإرهاب فى العالم وبين الإسلام .

ملحوظة :

يجب أن نقرر أن التحديات الحضارية تشمل جميع التحديات التربوية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ومن هنا كان لابد من الإشارة إشارات سريعة لهذه النواحى ، ولكننا فى تركيزنا على التحديات الحضارية نفصل فى النواحى الحضارية الخالصة .

ذكرنا ذلك حتى لا يكون اعتقاد بتكرار بين عمل لجنة التحديات الحضارية واللجان الأخرى .

والله ولى التوفيق ..

obeikandl.com